إسرائيل الكبرى وإيران الكبرى: المشروع السعودي معادلة ثالثة

ص3

أتروبيا

سخرية سينمائية تفكك عبث الحرب على العراق

ص9

الحرف الفلسطينية إرث حي في سوريا

ص10

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

السبت - الأحد 28 - 2026/03/29

09 - 10 شوال 1447 السنة 48 العدد 13770

Saturday - Sunday 28 - 29/03/2026

48th Year, Issue 13770

www.alarab.co.uk

سوريا بديل محتمل عن مضيق هرمز

موقع سوريا الجغرافي: ميزة استراتيجية لنقل بديل وآمن للطاقة

دمشق - أعاد المبعوث الأميركي توم باراك النقاش الدولي إلى الواجهة حول إمكانية تحويل سوريا إلى محور إستراتيجي لنقل الطاقة، في ظل استمرار إغلاق مضيق هرمز على وقع الحرب مع إيران وما خلفه من تداعيات سلبية على الاقتصاد العالمي.

وخلال مشاركته في فعالية اقتصادية حول الطاقة عُقدت في واشنطن، أشار باراك إلى أن الأراضي السورية قد تتحول إلى نقطة عبور لخطوط أنابيب تربط مناطق إنتاج الطاقة بأسواق الاستهلاك، في حال توفرت الظروف الملائمة لذلك، مؤكدا أن الفكرة ليست جديدة بالكامل، بل تعود إلى تصورات سابقة هدفت إلى جعل سوريا حلقة وصل بين الخليج العربي وبحر قزوين والبحر المتوسط والبحر الأسود، بما يمنحها موقعا إستراتيجيًا بالغ الأهمية على خارطة الطاقة الدولية.

وأوضح باراك أن استثمار الموقع الجغرافي لسوريا في قطاع الطاقة يمكن أن يخفف الاعتماد على مضيق هرمز، الذي يمر منه حوالي 20 في المئة من الإمدادات النفطية العالمية، ويبدد القلق العالمي المستمر بشأن أمن إمدادات النفط والغاز في ظل تصاعد التوترات الإقليمية.

وشدد على أن الحديث عن سوريا كبديل محتمل يأتي ضمن إطار دراسة الفرص الاقتصادية، وليس على أساس تطبيق فوري، مشيرا إلى أن التحولات الأخيرة في الوضع الداخلي السوري فتحت الباب أمام التفكير في مرحلة جديدة تركز على استثمار الموارد الاقتصادية والبنية التحتية المتاحة.

> **تظل سوريا خياراً استراتيجياً بفضل امتدادها الساحلي ما يجعلها بديلا محتملاً لأزمة الممرات**

ورغم هذه التصريحات والتصورات لا يزال المشروع يواجه تحديات كبيرة على أرض الواقع. فقد أدى التدهور الأمني والبنية التحتية المتضررة بفعل الحرب إلى صعوبة تنفيذ أي مشروع كبير في قطاع الطاقة، فضلا عن استمرار بعض العقوبات الدولية التي تشكل عائقا أمام تمويل المشاريع العابرة للحدود.

فكرة قديمة متجددة

كما تضيف التعقيدات الجيوسياسية، وتعدد القوى الفاعلة على الأرض السورية، مزيدا من الصعوبات أمام التوصل إلى توافقات إقليمية ودولية تمكّن من تنفيذ أي خطة إستراتيجية بهذا الحجم.

وتظل العلاقة مع القوى الإقليمية المجاورة -العراق وتركيا وإيران- أحد العوامل الحاسمة التي قد تحدد مصير أي مشروع لنقل الطاقة عبر الأراضي السورية.

ومن منظور جيوسياسي تقع سوريا في قلب شبكة معقدة من المصالح المتضاربة، ما يجعل أي محاولة لإنشاء ممر طاقة إستراتيجي بحاجة إلى توافقات دقيقة على الصعيدين الإقليمي والدولي. فإيران، على سبيل المثال قد ترى في المشروع تهديدا لمصالحها أو أداة ضغط إضافية على الخليج، بينما تحتاج واشنطن وشركاؤها الأوروبيون إلى ضمان عدم استخدام خطوط الطاقة الجديدة كورقة ضغط سياسية أو أداة لنزاعات إقليمية.

وتستند فكرة استخدام سوريا كممر بديل عن مضيق هرمز إلى موقع البلاد الإستراتيجي، إذ تطل البلاد على البحر المتوسط، ما يجعلها نقطة وصول مثالية لربط موارد الطاقة في الشرق الأوسط بالأسواق الأوروبية دون المرور بالممرات البحرية الحساسة.

ويُعد هذا الامتداد الساحلي ميزة كبيرة من الناحية النظرية، لكنه يواجه عقبات كبيرة على الأرض، بما في ذلك الحاجة إلى إعادة بناء الموانئ، وشبكات النقل، وأنظمة التخزين والمعالجة. كما يشكل الدمار الواسع للبنية التحتية، الناتج عن سنوات الحرب، أحد أبرز التحديات التي تتطلب استثمارات ضخمة وجهود إعادة إعمار طويلة الأمد.

وليس هذا الطرح جديدا، ففي السنوات الماضية تم الحديث عن عدة مشاريع مشابهة لمد خطوط أنابيب عبر الأراضي السورية.

ومن أبرزها مشروع لنقل الغاز من إيران مرورا بالعراق وصولا إلى الساحل السوري، إلى جانب مقترحات أخرى لنقل نفط الخليج عبر السعودية أو الإمارات العربية المتحدة ثم عبر الأردن إلى المتوسط. إلا أن هذه المشاريع بقيت حبرا على ورق بفعل تعقيدات سياسية وأمنية ومالية حالت دون تنفيذها.

ومن الجانب الاجتماعي يتطلب أي مشروع إستراتيجي استقرارا داخليًا، وهو ما يواجه تحديات كبيرة بسبب التنوع المجتمعي في سوريا وتعدد الفصائل المسلحة، فضلا عن آثار النزوح الداخلي والدمار الذي أصاب المدن والبنية التحتية الحيوية.

ووفق تصريحات باراك يمثل دمج قوات سوريا الديمقراطية ضمن مؤسسات الدولة خطوة مهمة لتعزيز الاستقرار الداخلي، وهو شرط مسبق لنجاح أي مشروع إستراتيجي في مجال الطاقة.

وتشير تصريحات باراك إلى أن الولايات المتحدة تراهن على استغلال الفرص الاقتصادية في سوريا بطريقة مدروسة، ضمن إطار ضمان استقرار البلاد ودمج الفصائل المسلحة في مؤسسات الدولة، وإعادة بناء البنية التحتية، بالإضافة إلى التوافق مع المجتمع الدولي لتذليل العقبات السياسية والمالية.

ويرى مراقبون أن نجاح أي مشروع مستقبلي لنقل الطاقة عبر سوريا يعتمد على قدرة القيادة السورية على خلق بيئة مستقرة وجاذبة للاستثمارات، إلى جانب ضمان توافق إقليمي ودولي يمنع أي استغلال سياسي أو عسكري للممر الجديد.

وتؤكد تصريحات توم باراك أن سوريا قد تصبح خيارا إستراتيجيًا في خارطة الطاقة العالمية، لكنها تواجه عقبات جسيمة تتعلق بالواقع الأمني والسياسي والاقتصادي.

السعودية تستأنس بخبرة أوكرانيا في صدّ المسيّرات

الرياض - وقّعت المملكة العربية السعودية وأوكرانيا اتفاقية في مجال الأمن الجوي ستتيح للرياض الاستفادة من خبرة كييف في التصدي للمسيّرات، وذلك خلال زيارة الرئيس فولوديمير زيلينسكي للمملكة، بحسب ما نقلته وكالة فرانس برس الجمعة عن مسؤول وصفته بالمطلع على الملف.

وتتعرّض المنشآت والمرافق المدنية في السعودية، على غرار باقي بلدان الخليج، لهجمات بالصواريخ والطائرات المسيرة في نطاق ما تسميه طهران "ردًا" على الحرب التي شنّتها ضدها إسرائيل والولايات المتحدة.

وأثرت تلك البلدان، المعروفة باستقرارها ورخائها وميل سياساتها إلى السلام وعدم الانغماس في الصراعات، إلى حدّ الآن صدّ الهجمات الإيرانية دون الانخراط في حرب معلنة ضدّ جارتها الجمهورية الإسلامية.

وإن نجحت دفاعات بلدان الخليج في صدّ الغالبية العظمى من الهجمات بالصواريخ وتقليل الخسائر الناجمة عنها إلى حدودها الدنيا، فإنّ تلك البلدان ما زالت تعمل على تدعيم منظوماتها الدفاعية عبر الاستئناس بأفضل التجارب والخبرات والتقنيات المعتمدة في المجال.

وعلى هذه الخلفية يمكن للتجربة الأوكرانية أن تقدّم للرياض الإضافة في هذا المجال كون كييف تخوض منذ سنوات حربا ضدّ روسيا تمثّل الطائرات المسيّرة ومنظومات التصدّي لها إحدى وسائلها الأساسية.

وتسعى كييف إلى توظيف خبرتها في إسقاط المسيّرات الروسية لمساعدة دول الخليج التي تتعرض لهجمات مماثلة بطائرات إيرانية من طراز "شاهد"، تطلقها روسيا على أوكرانيا.

وقال المسؤول إن "الهدف من الاتفاق هو أن تساهم أوكرانيا في تطوير كل المكونات اللازمة للدفاع الجوي" من أجل التصدي لـ"مسيّرات شاهد وغيرها".

وأكد مسؤول آخر أن الاتفاق تمّ توقيعه الخميس بعد وصول زيلينسكي إلى المملكة في زيارة غير معلنة مسبقا، وذلك في خضم الحرب في الشرق الأوسط. وتحدث المسؤولان إلى فرانس برس طالبَين عدم الكشف عن اسميهما.

وتعتمد كييف على مزيج من وسائل اعتراض منخفضة الكلفة للمسيّرات وتقنيات للتشويش الإلكتروني ومدافع مضادة للطائرات، من أجل التصدي للطائرات المسيّرة الروسية التي تستهدف مدنها ليلا بشكل مستمر منذ أربع سنوات. وتُروّج كييف لأنظمة دفاعها ضد الطائرات المسيّرة باعتبارها الأفضل في العالم.

واقترحت أوكرانيا استبدال وسائل الاعتراض لديها بصواريخ دفاع جوي باهظة الكلفة، تستخدمها دول الخليج حاليا للتصدي للمسيّرات. وتقول أوكرانيا إنها بحاجة إلى المزيد منها لدرء الهجمات الصاروخية الروسية.

وقال أحد المسؤولين إن الاتفاقية الموقعة بين أوكرانيا والمملكة "لا تتعلق فقط بالطائرات الاعتراضية في حد ذاتها، بل ببناء نظام ودمجه مع مكونات الدفاع الجوي الأخرى، والخبرة الأوكرانية في استخدامه، والذكاء الاصطناعي وجميع عناصر تحليل البيانات الأخرى اللازمة للتصدي لطائرات شاهد والمسيّرات الأخرى".

وأكد زيلينسكي على وسائل التواصل الاجتماعي أن البلدين توصلا إلى "اتفاقية هامة" بشأن التعاون الدفاعي، وأنه التقى ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان خلال زيارته.

وقال "نحن على استعداد لتبادل خبراتنا وأنظمتنا مع المملكة العربية السعودية"، مضيفا أن المملكة "تمتلك أيضا قدرات تهم أوكرانيا، ويمكن أن يكون هذا التعاون مفيدا للطرفين". ولم يكشف زيلينسكي عن تفاصيل الاتفاقية.

كما التقى زيلينسكي خبراء أوكرانيين في مجال مكافحة الطائرات المسيّرة، تم نشرهم في المملكة منذ أن شنت الولايات المتحدة وإسرائيل ضربات على إيران ما دفع طهران إلى الرد بهجمات مضادة بالمسيّرات والصواريخ، شملت أعيانا ومرافق مدنية في دول الخليج.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

التهديد باحتلال خرج: ورقة ضغط أم مقامرة استراتيجية؟

جزيرة صغيرة، لا تتجاوز مساحتها بضعة كيلومترات مربعة، قد تقلب موازين الحرب أو تغرقها في مستنقع لا نهاية له. هذا هو السؤال المعلّق فوق طاولة البنتاغون هذه الأيام: هل تستحق جزيرة خرج كل هذه المجازفة؟ التقارير الأخيرة عن دراسة وزارة الحرب الأميركية إرسال عشرة آلاف جندي إضافي إلى الشرق الأوسط، بهدف احتمال احتلال هذه الجزيرة النفطية، تحمل في طياتها أكثر من مجرد مناورة عسكرية. إنها لحظة حاسمة قد تعيد تعريف مسار الحرب التي دخلت يومها الثامن والعشرين.

فبينما تبدو الجزيرة هدفًا مغريًا من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية، فإن الدخول إليها قد يكون بمثابة فتح باب لا يمكن إغلاقه بسهولة. تقع جزيرة خرج على بعد ستة وعشرين كيلومترًا فقط من الساحل الإيراني، وهي بقعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها عشرين كيلومترًا مربعًا، لكنها تحمل ثقلًا اقتصاديًا هائلًا يجعلها جوهرة التاج الإيراني كما وصفها الرئيس ترامب نفسه. فهذه الجزيرة تتعامل مع نحو تسعين في المئة من صادرات النفط الإيرانية، ما يجعلها شريان الحياة الاقتصادي لطهران ومصدر التمويل الرئيسي للحرس الثوري. في ظل استمرار الحرب وإغلاق مضيق هرمز الذي يمر عبره نحو خمس الإمدادات العالمية من النفط الخام، تتحول السيطرة على خرج إلى هدف استراتيجي بالغ الأهمية، إذ إن حرمان إيران من قدرتها على تصدير نفطها قد يشكل ضربة قاصمة للنظام الاقتصادي الإيراني.

على المستوى العسكري، كشفت تقارير إعلامية أن البنتاغون يدرس نشر عشرة آلاف جندي إضافي في المنطقة، ليكونوا إضافة إلى خمسة آلاف جندي من مشاة البحرية وآلاف آخرين من فرقة 82 المحمولة جوًا الذين سبق أن أُرسلوا إلى المنطقة. هذا الحشد العسكري، الذي يتضمن وحدات مشاة وعربات مدرعة، يهدف إلى منح الرئيس ترامب خيارات عسكرية موسعة قد تصل إلى احتلال جزيرة خرج أو جزر أخرى في مضيق هرمز. لكن السؤال الأكثر إلحاحا: هل السيطرة على الجزيرة ستكون سهلة كما تبدو أم أن الحفاظ عليها سيكون أصعب بكثير من الاستيلاء عليها؟

الإجابة تكمن في طبيعة التحديات التي ستواجه أي قوة برية تقدم على هذه الخطوة. فالجزيرة ليست مجرد بقعة نائية، بل هي محصنة بالكامل، تحتوي على منشآت نفطية وخزانات وخطوط أنابيب تمتد في مساحة محدودة، ما يجعل أي عملية عسكرية فيها معقدة للغاية. إضافة إلى ذلك، تمتلك إيران ترسانة هائلة من الأسلحة غير المتكافئة التي يمكنها استخدامها للدفاع عن هذه الجزيرة أو الانتقام لخسارتها. فقد أظهرت طهران خلال الأسابيع الماضية قدرتها على استخدام الطائرات المسيّرة البحرية الانتحارية والألغام والصواريخ المضادة للسفن بشكل مكثف، مما تسبب في إغلاق مضيق هرمز ورفع أسعار التأمين على الشحن إلى مستويات قياسية. التهديد الإيراني الأكثر إثارة للقلق يتمثل في قدرتها على نشر مئات الألغام البحرية والصواريخ الساحلية التي يمكن أن تحول الخليج العربي إلى منطقة خطر دائم على الملاحة.

كما أن إيران لم تتردد في التلويح بردود فعل انتقامية واسعة النطاق. فقد صرّح المسؤولون الإيرانيون مرارًا بأن أي اعتداء على أراضي الجزر الإيرانية سيكسر كل قيود ضبط النفس، متوعدين بأن يجعلوا الخليج العربي "يسيل بدماء الغزاة". هذا الخطاب التصعيدي، إلى جانب القدرات الميدانية التي أظهرتها طهران في استهداف السفن والمنشآت النفطية في دول الخليج، يضع أي خطة لاحتلال الجزيرة في دائرة المخاطر الكبيرة.

لكن الحرب لا تُخاض على الجبهة العسكرية فقط، فهناك أبعاد سياسية وداخلية في واشنطن لا تقل أهمية. ففي الوقت الذي يحظى فيه الرئيس ترامب بدعم قوي من قاعدته الجمهورية، كما ظهر بوضوح في المؤتمر السنوي للمحافظين في تكساس، حيث تحدث متحدثون باسم الحزب عن الحرب بوصفها ضرورة أخلاقية لحماية إسرائيل وتحرير الشعب الإيراني من النظام الإسلامي، فإن الصورة على الصعيد الشعبي الأوسع تبدو مختلفة تمامًا. تبقى جزيرة خرج ورقة ضغط قوية قد تمنح واشنطن ميزة استراتيجية في أي مفاوضات مستقبلية مع طهران.

> **جزيرة خرج تبدو هدفا مغريا من حيث القيمة الاقتصادية لكنها قد تتحول إلى مستنقع استنزاف طويل**

فالسيطرة عليها، كما يرى بعض المحللين، قد تحرم إيران من قدرتها على تمويل حربها وتعزز موقف الولايات المتحدة في المفاوضات. لكن السؤال الأكبر: هل هذا المكسب المحتمل يساوي المخاطر المترتبة عليه؟ الدخول في احتلال بري لأراض إيرانية، مهما كانت صغيرة، قد يفتح الباب أمام مرحلة جديدة من الحرب لا تقل تعقيدًا عن تلك التي تمر بها أميركا اليوم. فالاستنزاف الطويل الذي تعرفه واشنطن من تجارب سابقة في العراق وأفغانستان لا يزال حيًا في الذاكرة الجماعية للأميركيين، وهو ما يفسر التردد الشعبي المتزايد تجاه أي مغامرة برية جديدة.

ربما تكون الجزيرة مغرية، لكن ثمن السيطرة عليها قد يكون أكبر مما تتخيله الإدارة الأميركية. فالحروب في الشرق الأوسط لا تُربح بالناقلات أو الجزر، بل بالاستراتيجية الواعية التي تدرك أن المواجهات العسكرية وحدها لا تصنع السلام، وأن كل خطوة على الأرض قد تقود إلى متاهات لا تُحمد عقباها.

ليبيا 1 دينار - السعودية 2 ريال - مصر 3 جنيه مصري - موريتانيا 120 أوقية - تونس 900 مليم - المغرب 3 دراهم - الجزائر 7 دينارات - البحرين 200 فلس - اليمن 50 ريالا - الكويت 150 فلسا - الإمارات 2 درهم - عمان 200 بيزا - قطر 2 ريال - العراق 2000 دينار - الأردن 500 فلس - سوريا 150 ليرة - السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

حرب حزب الله وإسرائيل تعمق الشرخ اللبناني

إسرائيل تدفع الشيعة إلى أجزاء أخرى من لبنان لإثارة صدام مع طوائف أخرى

ما تبقى من لبنان

أوامر الإخلاء صدرت فقط للقرى الشيعية في جنوب لبنان، في أن القرى المسيحية لا تزال مأهولة ولم تستهدفها القوات الإسرائيلية، في رسالة تمييز واضحة ضد الشيعة بسبب الولاء لحزب الله.

بيروت - تدفع الحرب بين إسرائيل وحزب الله لبنان الهش نحو حافة الانهيار، مما يزيد من حدة الانقسامات الطائفية والسياسية في ظل نزوح الشيعة وتفاقم العداء بين الجماعة المدعومة من إيران ومعارضيها.

ويرى محللون وشخصيات لبنانية من مختلف الأطياف السياسية أن الصراع الذي أشعلته الحرب على إيران هو الأكثر زعزعة للاستقرار من بين كل الأزمات العديدة التي مر بها لبنان منذ الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين 1975 و1990.

وهددت إسرائيل بتدمير جنوب لبنان، على غرار ما فعلته في غزة، واحتلاله. وهناك انقسامات حادة في لبنان حول أسلحة حزب الله، الذي يرفض التخلي عنها رغم جهود الدولة المستمرة منذ عام لنزع سلاحه سلميا.

وأدى القصف الإسرائيلي وأوامر الإخلاء التي توجهها إسرائيل إلى نزوح أنصار حزب الله الشيعة إلى مناطق يسكنها مسيحيون ودروز وآخرون يلوم الكثير منهم الحزب على شن حرب دعما لإيران بعد 15 شهرا فقط من المواجهة السابقة.

وتقوم السلطات المحلية بفحص النازحين الباحثين عن مساكن للإيجار خوفا من وجود أي شخص بينهم قد يكون هدفا محتملا لإسرائيل.

وتزداد التوترات بين حزب الله والدولة اللبنانية. وحظرت الحكومة برئاسة نواف سلام الجناح العسكري لحزب الله وطالبت سفير إيران بمغادرة البلاد، فيما يدعو رئيس الجمهورية جوزيف عون إلى إجراء محادثات مباشرة مع إسرائيل.

وشبه القيادي في حزب الله محمود قماطي الحكومة اللبنانية بحكومة فيشي في فرنسا التي تعاملت مع ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وقال "فيشي التي كانت تحاكم المقاومين وتعدمهم إلى أن انتصرت المقاومة بقيادة (شارل) ديغول وأعدمت حكومة فيشي".

وقال لوسيلة إعلام لبنانية "قادرين نقلب البلد... قادرين نقلب الحكومة... لكن قرارنا الهدوء والصبر على الداخل اللبناني"، لكنه تراجع بعد ذلك وقال إن تصريحاته أخرجت من سياقها.

وذكر النائب الدرزي وائل أبوفاعور أن التوترات الداخلية تتزايد بسبب الانقسامات السياسية حول الحرب والنزوح والخطاب العدائي من أكثر من طرف، مضيفا أن هذا يزيد المخاوف بشأن الاستقرار الداخلي.

وقتل أكثر من ألف شخص في لبنان ونزح ما يزيد عن مليون، أي ما يربو على خمس السكان، معظمهم من الشيعة منذ أن أطلق حزب الله الصواريخ في الثاني من مارس على إسرائيل التي ردت بحملة عنيفة.

وقال مسؤول أجنبي إن النزوح يؤدي إلى توتر العلاقات الطائفية وسيكون "قنبلة موقوتة" إذا لم يتمكن النازحون من العودة إلى ديارهم.

وأمر الجيش الإسرائيلي السكان بمغادرة معظم مناطق الجنوب، وكذلك الضاحية الجنوبية لبيروت التي يسيطر عليها حزب الله، ومناطق في شرق لبنان يتمتع فيها حزب الله بنفوذ أيضا.

وكشف وزير الدفاع الإسرائيلي أن إسرائيل تعتزم إنشاء "منطقة أمنية" تمتد حتى نهر الليطاني، الذي يصب في البحر المتوسط على بعد حوالي 30 كيلومترا من الحدود الشمالية لإسرائيل. وأضاف أن مئات الآلاف من الشيعة لن يعودوا إلى جنوب الليطاني حتى ضمان الأمن في شمال إسرائيل.

ألان عون

التعايش بين الدولة وسلاح حزب الله يقترب من نهايته

وعبر نديم الجميل، وهو نائب مسيحي معارض لحزب الله، عن قلقه من أن إسرائيل تدفع الشيعة عمدا إلى أجزاء أخرى من لبنان لإثارة صدام مع طوائف أخرى.

وهناك خلافات منذ فترة طويلة بين حزب الله، الذي يمتلك ترسانة أسلحة أقوى من ترسانة الجيش، وكثير من الفصائل اللبنانية الأخرى.

وخلال اقتتال قصير في عام 2008، سيطر مقاتلو حزب الله على بيروت عندما حاولت حكومة مدعومة من الغرب حظر شبكة اتصالات الحزب. وتراجعت الحكومة بعد ذلك.

وقال الجميل إن التوتر "موجود بالفعل، لكن الشرارة لم تشتعل بعد، وأتمنى ألا تشتعل أبدا".

وأضاف "إذا بقي الإسرائيليون لفترة طويلة جدا في الجنوب، فسيكون ذلك كارثيا للجميع... لا يستطيع لبنان استيعاب مثل هذا النزوح للسكان". ودعا الحكومة اللبنانية إلى "نزع سلاح حزب الله وإنهاء هذه الحرب".

وردا على طلب للتعليق على اتهام إسرائيل بالسعي إلى إثارة التوترات الطائفية، لم يتطرق مسؤول إسرائيلي إلى السؤال مباشرة، لكنه قال إن الصراع الوحيد في لبنان هو ذلك الذي أشعله حزب الله، وحث البلاد على طرد الحزب.

وقال الجيش الإسرائيلي إنه يعمل حصرا ضد حزب الله، وإن أي شيء يقال عن أنه يعمل ضد مجموعة سكانية معينة هو "كذب وتضليل".

غير أن مسؤولا عسكريا إسرائيليا قال لوكالة رويترز إن أوامر الإخلاء صدرت فقط للقرى الشيعية في جنوب لبنان، وإن القرى المسيحية لا تزال مأهولة ولم تستهدفها القوات الإسرائيلية.

وقال حسن فضل الله، النائب في البرلمان اللبناني عن حزب الله، إن بعض اللبنانيين يتعاملون مع قضية النزوح "بمنطق طائفي".

وأضاف "هذه مرحلة سنتجاوزها، لأن النازحين سيعودون إلى أرضهم وإلى ديارهم بمجرد وقف العدوان".

وفي مؤشر على حدة التوترات، اشتبك سكان منطقة يغلب عليها المسيحيون شمالي بيروت مع نازحين وطالبوهم بالمغادرة يوم الثلاثاء عندما سقطت شظايا صاروخ باليستي إيراني جرى اعتراضه فوق لبنان على المنطقة.

وأثارت محاولات لإقامة مأوى للنازحين في حي الكرنتينا ببيروت، وهو منطقة ذات أغلبية مسيحية قرب المرفأ، اعتراضات من سياسيين مسيحيين. وأصدر رئيس الحكومة لاحقا قرارا يقضي باستخدام الموقع لتخزين المساعدات بدلا من ذلك.

وفي حي الدكوانة ذي الأغلبية المسيحية الواقع شرقي بيروت، يقيم حوالي ألفي نازح شيعي في كلية مهنية. وقالت زينب المقداد (50 عاما) إن عائلتها لم تواجه أي مشاكل في الحي منذ أن نزحت من منزلها في الضاحية الجنوبية في الثاني من مارس.

وذكر أنطوان أبوعبود وهو مسؤول محلي أن ألف نازح آخرين يقيمون في فنادق ومساكن مستأجرة في الدكوانة. وتابع "اليوم فيه أمر واقع صار، صار في حرب، صار القصة أكبر منا. اليوم نحن كلبنانيين بدنا نتحمل بعض".

وأضاف أن المجلس المحلي شدد إجراءات فحص الراغبين في استئجار المساكن، إذ ترسل بطاقات الهوية إلى قوات الأمن للتحقق منها، مشيرا إلى أن السكان يخشون "إذا اللي ساكن بيشكل خطر على البنية أو على حياته".

وتنعكس الانقسامات داخل المجتمع اللبناني على الدولة، التي هزتها أيضا تداعيات الحرب. وكان لحزب الله نفوذ كبير على الدولة حتى تعرض لضربة قوية من إسرائيل في عام 2024. بعد تلك المواجهة، سعت الحكومة إلى نزع سلاح الحزب، لكن الصواريخ العديدة التي أطلقها منذ الثاني من مارس، ونشره السريع لمقاتليه مرة أخرى في الجنوب، هزت الثقة في الدولة.

ويعتقد حزب الله أن الحكومة ستتراجع في النهاية عن قراراتها، ومنها حظر جناحه العسكري. وقال فضل الله إن جميع الإجراءات التي اتخذتها الحكومة ستلغى عندما تفشل إسرائيل في تحقيق أهدافها. وأضاف "الإطار العام للمقاومة في لبنان الآن هو مواجهة العدوان الإسرائيلي وعندما ننتهي من هذه المواجهة، نأتي كلبنانيين لمعالجة مشاكلنا الداخلية".

وأشار مسؤولون إسرائيليون إلى أن الهجوم الإسرائيلي سيستمر إلى ما بعد الحرب مع إيران، وأن الكثير يتوقف على ما سيحدث في الصراع الأوسع نطاقا.

خطة مجلس السلام لحماس: تدمير الأنفاق وتخل تدريجي عن السلاح

غزة - قدم مجلس السلام الذي شكله الرئيس الأميركي دونالد ترامب خطة لحركة حماس تتطلب الموافقة على تدمير شبكة أنفاق تحت قطاع غزة والتخلي عن السلاح على مراحل.

وتحدد الخطة جدولا زمنيا مدته ثمانية أشهر يبدأ بتولي اللجنة الوطنية لإدارة غزة، وهي لجنة تكنوقراط فلسطينية مدعومة من الولايات المتحدة، مسؤولية الأمن في القطاع، وينتهي بانسحاب القوات الإسرائيلية بالكامل عند "التحقق النهائي من خلو غزة من السلاح".

ويشكل نزع سلاح حماس نقطة خلاف شائكة في المحادثات الرامية إلى تنفيذ خطة ترامب الخاصة بغزة وتثبيت وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه في أكتوبر – تشرين الأول، وأنهى وقتها الحرب التي استمرت لنحو عامين. ورفضت حماس مرارا دعوات إلقاء الأسلحة، التي يُعتقد أن معظمها نُقل وخُزّن في أنفاق تحت غزة.

وأرسل مسؤولان فلسطينيان مشاركان في المحادثات النص الكامل للخطة لوكالة رويترز، وكانت قناة الجزيرة قد نشرته أولا. وأكد مسؤول في حماس صحة تلك الخطة. وقدم مجلس السلام الخطة إلى حركة حماس الأسبوع الماضي لكنها لم تعلق عليها علنا بعد.

وتتضمن الخطة شقين هما وثيقة من 12 نقطة بعنوان "خطوات استكمال تنفيذ خطة ترامب للسلام الشامل في غزة"، والشق الآخر بعنوان "المراحل الرئيسية للجدول الزمني"، وهي مؤلفة من خمس مراحل تقوم خلالها حماس بتسليم أسلحتها على مدى ثمانية أشهر.

وتقول الوثيقة إن جميع الفصائل المسلحة في قطاع غزة، بما في ذلك جماعات مثل الجهاد الإسلامي، ستشارك في عملية نزع السلاح التي ستشرف عليها اللجنة الوطنية لإدارة غزة.

وجاء في البند الرابع من الوثيقة "ستتم إدارة غزة بموجب مبدأ سلطة واحدة وقانون واحد وسلاح واحد، حيث يسمح فقط للأفراد المخولين من اللجنة الوطنية لإدارة غزة بحيازة السلاح وستوقف جميع الفصائل الأنشطة المسلحة".

وأضافت الوثيقة في البند العاشر "عملية نزع السلاح ستكون بقيادة فلسطينية من قبل اللجنة الوطنية لإدارة غزة ويتم التحقق منها دوليا عن طريق لجنة التحقق من حصر جمع السلاح وبدعم من قوة الاستقرار الدولية".

> **جميع الفصائل، بما في ذلك الجهاد، ستشارك في عملية نزع السلاح التي ستشرف عليها اللجنة الوطنية لإدارة غزة**

ومن المقرر أن يشكل نيكولاي ملادينوف الممثل السامي لمجلس السلام لجنة التحقق من حصر جمع السلاح.

وذكرت الوثيقة في البند الثاني "المواد اللازمة لإعادة البناء، بما في ذلك متطلبات التعافي المبكر والمواد ذات الاستخدام المزدوج الموافق عليها، سيتم السماح بدخولها للمناطق التي يتم اعتمادها بأنها منزوعة السلاح وفعليا تتم إدارتها من اللجنة الوطنية لإدارة غزة".

وأدى وقف إطلاق النار في أكتوبر إلى استمرار سيطرة إسرائيل على أكثر من نصف غزة، فيما تحكم حماس قبضتها على النصف الآخر من القطاع وسكانه البالغ عددهم مليوني نسمة، ومعظمهم بلا مأوى بعد الحرب الإسرائيلية التي استمرت عامين.

ورفضت حماس علنا دعوات نزع السلاح في الأشهر القليلة الماضية، لكن مسؤوليها عبروا في أحاديث خاصة عن انفتاحهم على نزع السلاح ما دام سيتم في إطار مسار سياسي يفضي إلى إقامة دولة فلسطينية.

ولا تذكر الخطة، المكونة من 12 بندا، شيئا عن إقامة دولة فلسطينية أو الاستقلال. وقال مسؤول في حماس إن الحركة تدرس الوثيقة.

وأصدرت ثلاثة فصائل فلسطينية، من بينها حركة الجهاد الإسلامي، الخميس بيانات تنتقد الخطة قائلة إنها تعطي الأولوية بشكل غير عادل لنزع السلاح على حساب أمور مثل إعادة الإعمار وانسحاب الجيش الإسرائيلي.

ووفقا للجدول الزمني للخطة، خلال المرحلة الأولى التي تستغرق 15 يوما، تتولى اللجنة الوطنية لإدارة غزة كامل السلطات الأمنية والإدارية على القطاع مع البدء في اتخاذ خطوات تحضيرية لعملية حصر السلاح.

وفي المرحلة الثانية، التي تمتد من اليوم 16 إلى اليوم 40، ستقوم إسرائيل بتفكيك كل الأسلحة الثقيلة، ومن بينها المدفعية الثقيلة والدبابات، من المناطق الخاضعة لسيطرتها، وسيتم نشر قوة أمنية دولية.

وفي المرحلة الثالثة، من اليوم 30 إلى اليوم 90، ستسلم حماس كل أسلحتها الثقيلة ومعداتها العسكرية إلى اللجنة الوطنية وستسمح بتدمير "جميع الأنفاق والمواد غير المتفجرة".

الانقسام يحكم السويداء رغم مضي أشهر من التهدئة

السويداء (سوريا) - قالت لجنة الأمم المتحدة للتحقيق بشأن سوريا إن أعمال العنف التي وقعت في محافظة السويداء، ذات الغالبية الدرزية، في يوليو 2025 شهدت انتهاكات قد ترقى إلى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، محذرة من أن المحافظة لا تزال "منقسمة بشدة"، رغم مرور أشهر على المواجهات.

وشهدت السويداء الواقعة جنوب سوريا، على مدى أسبوع في يوليو، اشتباكات بين مسلحين دروز ومقاتلين من البدو، تحوّلت إلى مواجهات دامية بعد تدخل القوات الحكومية ثم مسلحين من العشائر إلى جانب البدو.

كما تدخلت إسرائيل في المواجهات، عبر دعم المسلحين الدروز، لتزيد من تعقيد المشهد في المحافظة.

وأسفرت أعمال العنف، التي تخللتها عمليات إعدام ميدانية، عن مقتل أكثر من ألفي شخص، من بينهم 789 مدنيا درزيا، وفق المرصد السوري لحقوق الإنسان.

ورغم الاتفاق الذي تم التوصل إليه لاحتواء التصعيد مازال الوضع الأمني في السويداء هشا، في ظل سيطرة فصيل يقوده شيخ العقل حكمت الهجري على المحافظة، يرفض الاعتراف بالحكومة السورية ويجرم كل من يتعاطى معها.

وذكرت المفوضة فيونوالا ني أولين في تقرير صادر عن اللجنة أن "الانتهاكات الجسيمة التي ارتكبها أفراد من القوات الحكومية والجماعات المسلحة الدرزية قد ترقى إلى جرائم حرب، وتستلزم إجراء تحقيقات موسعة وسريعة وفعالة ونزيهة من أجل إحقاق العدالة وتقديم ضمانات بعدم التكرار".

وقالت لجنة تحقيق رسمية شكلتها السلطات إنها وثقت مقتل 1760 شخصا، وأعلنت أنها أعدت "قائمة مشتبه بهم من (وزارتي) الدفاع والداخلية وفصائل درزية ومدنيين، من بينهم بدو وعشائر، بـ(ارتكاب) جرائم وانتهاكات جسيمة".

وأوردت لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة في تقريرها الجمعة أنها "وثّقت عمليات إعدام وتعذيب وعنف جنسي وحرق منازل على نطاق واسع"، ومن بين انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان اعتبرت اللجنة أنها "قد ترقى إلى جرائم حرب، وفي حال ثبتت العناصر اللازمة من خلال المزيد من التحقيقات، قد ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية".

وقالت اللجنة التي تحقق في أعمال العنف في سوريا منذ اندلاع النزاع عام 2011، إن ما جرى في يوليو 2025 بدأ على خلفية توتر طائفي "وتطوّر إلى ثلاث موجات مدمرة من العنف، استهدفت اثنتان منها المدنيين الدروز، واستهدفت الثالثة المدنيين البدو".

واستند تقرير اللجنة إلى 409 شهادات مباشرة من الناجين والشهود في المجتمعات المتضررة، إلى جانب زيارات ميدانية مكثفة للمناطق الأكثر تضررا. وأفادت بأنه بعد منح الحكومة السورية الموافقة على دخول أعضاء اللجنة "وجد المحققون دمارا واسع النطاق، لاسيما في القرى الدرزية، حيث أُحرقت عشرات الآلاف من المنازل والمحلات التجارية ودور العبادة".

وشنت إسرائيل، التي يعيش فيها أكثر من 150 ألف درزي، خلال المواجهات ضربات على القوات الحكومية في السويداء، وأخرى قرب القصر الرئاسي وعلى مقر هيئة الأركان العامة في دمشق، معللة تدخلها بحماية الأقلية الدرزية.

وقالت اللجنة في بيانها "لم يؤد التدخل العسكري الإسرائيلي والجهود السابقة الرامية إلى عرقلة عمل الحكومة وتقويض المركزية وزرع الفتنة، إلى مقتل وإصابة أشخاص فحسب، بل ساهم ذلك أيضا في زعزعة الاستقرار، مما أدى إلى تأجيج اتهامات الخيانة الموجهة إلى قادة المجتمع الدرزي، ودفع إلى مزيد من التحريض الإلكتروني على الكراهية والهجمات الانتقامية ضد المجتمع بأسره، ما أدى إلى تقسيمه".

وحذّرت من أن المحافظة "لا تزال منقسمة بشدة". وأضافت "من بين ما يقارب 200 ألف شخص نزحوا في منتصف يوليو، لا يزال حوالي 155 ألف شخص، معظمهم من القرى الدرزية المحروقة، غير قادرين على العودة. كما لا يزال جميع السكان البدو تقريبا نازحين قسرا".

ونقل التقرير عن رئيس اللجنة باولو سيرجيو بينهيرو قوله إن "حجم ووحشية أعمال العنف والانتهاكات الموثقة في السويداء أمر مقلق للغاية".

وأكد الحاجة إلى "بذل جهود موسعة لمحاسبة جميع الجناة، بغض النظر عن انتماءاتهم، من أجل إعادة بناء الثقة بين المجتمعات المتضررة، إلى جانب إجراء حوار صادق لمعالجة الأسباب الجذرية".

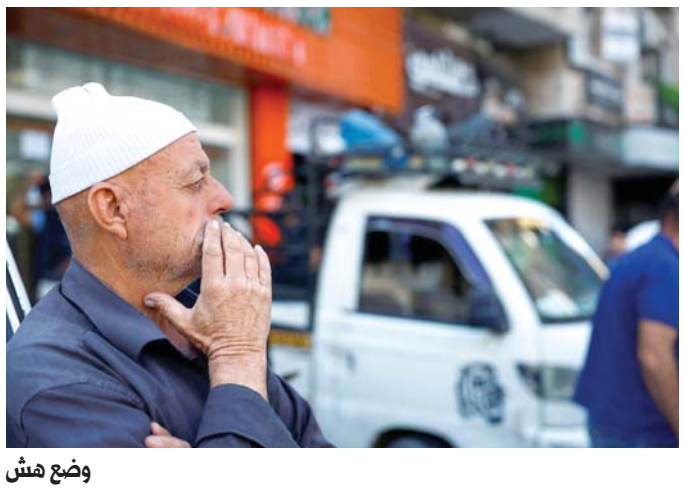

وضع هش

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

إسرائيل الكبرى وإيران الكبرى: صراع المشاريع الإقليمية والمشروع السعودي كمعادلة ثالثة

إذا تمكنت السعودية من احتواء التصعيد العسكري، وإعادة توجيه الجهود نحو التحالف العالمي لتنفيذ حل الدولتين بعد انتهاء الحرب، وتعزيز التكامل الاقتصادي، فقد تتحول هذه المبادرات إلى نموذج إقليمي قادر على فرض شروطه في أي ترتيب مستقبلي.

عبدالكريم عويضة
سفير دولة فلسطين في جمهورية كوت ديفوار

على مدى عدة عقود، برز في الشرق الأوسط مشروعان متنافسان لإعادة رسم الخريطة: "إسرائيل الكبرى" القائمة على التفوق العسكري والتحالف مع واشنطن، و"إيران الكبرى" المعتمدة على شبكة من المحاور بالوكالة والنفوذ الطائفي.

في عام 2023، ظهرت محاولة عربية بقيادة السعودية لتغيير قواعد اللعبة عبر استراتيجية التماسك وإعادة ترتيب البيت العربي، لا عبر مشروع توسعي جديد. ثم اندلعت في 28 فبراير 2026 حرب مفتوحة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى، بدأت بمقتل المرشد الأعلى علي خامنئي في غارة جوية.

سأحاول من خلال هذا المقال الاقتراب من تقييم منطقي للمشاريع الثلاثة، مع مناقشة التحديات التي تواجه ما يمكن قراءته كمحاولة سعودية لتشكيل مشروع عربي بديل، وأثر الحرب الجارية عليها، واستشراف السيناريوهات المحتملة في المستقبل القريب.

يستند مفهوم "إسرائيل الكبرى" إلى رؤية تتجاوز حدود عام 1967، وتستند إلى قراءة توراتية للحدود الجغرافية التي تعتبرها الأحزاب اليمينية المتشددة – التي تشكل الائتلاف الحاكم في إسرائيل اليوم – حقًا تاريخيًا ودينيًا لا يمكن التنازل عنه. تمتد هذه الرؤية لتشمل أجزاء من المشرق العربي، وتُترجم على الأرض عبر أدوات متعددة: التفوق العسكري (بدعم أميركي، برنامج نووي غير معلن)، التطبيع (اتفاقيات إبراهيم 2020)، وتحالف المصالح الاستراتيجية مع واشنطن.

في الحرب الدائرة مع إيران، تنفذ إسرائيل والولايات المتحدة عمليات مشتركة ضد أهداف إيرانية. أسفر المشروع عن تهيئة واقع يهمش الحقوق الفلسطينية، لكن الحرب أظهرت حدود القوة العسكرية في تحقيق الاستقرار، كما أن الانقسامات الداخلية في إسرائيل واعتمادها شبه الكامل على الدعم الأميركي قد يشكلان نقطتي ضعف في حال تغيرت الأولويات الأميركية.

يقوم مشروع "إيران الكبرى" على ركيزتين متكاملتين: أيديولوجية تصدير الثورة القائمة على ولاية الفقيه، ورؤية دينية – سياسية ترتبط بظهور الإمام المهدي المنتظر وفق العقيدة الشيعية الإثنى عشرية، حيث تُستخدم هذه الرؤية لتبرير مشروعية التوسع الإقليمي والتدخل في شؤون الدول الأخرى بوصفه تمهيدًا لنهاية الأيام. أدواته الميدانية: دعم الجماعات المسلحة (حزب الله، الحشد الشعبي، الحوثيون، وفصائل فلسطينية)، استغلال الفجوات في الدول العربية الهشة لتعزيز النفوذ، والسعي لامتلاك قدرة نووية ردعية.

واجه المشروع احتجاجات داخلية وأزمة اقتصادية، وتراجع تأثيره الطائفي بشكل ملحوظ بعد اتفاق الرياض – طهران بوساطة صينية (2023)، لكنه حاول تعويض ذلك بخطاب القومية ومواجهة الغرب. والحرب مع التحالف الأميركي – الإسرائيلي كشفت حدود نفوذه، حيث باتت طهران تتعرض لضربات مباشرة دون قدرة على حشد محاورها بالكامل.

في مواجهة المشروعين التوسعيين، اختارت الرياض مسارًا مختلفًا: إعادة التماسك العربي، إدارة الصراعات، والتحول نحو التكامل الاقتصادي والدبلوماسية. غير أن هذه المجموعة من المبادرات، التي يمكن قراءتها كمحاولة لتشكيل مشروع عربي بديل، تواجه تحديات داخلية وخارجية تعقّد مهمتها.

كانت الفجوة العربية مكسبًا استراتيجيًا للمشروعين. أعادت السعودية فتح القنوات مع دمشق (2023)، واستعادت مقعد سوريا في الجامعة العربية. في 18 مارس 2026، عقدت الرياض اجتماعًا وزاريًا تشاوريًا ضم 12 دولة (أذربيجان، البحرين، مصر، الأردن، الكويت، لبنان، باكستان، قطر، السعودية، سوريا، تركيا، الإمارات). دان البيان الختامي "الاستخدام المتعمد للصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة التي تستهدف المناطق السكنية"، معتبرًا ذلك انتهاكًا لقرار مجلس الأمن 2817 (2026).

> المملكة قد تكون على أبواب تحول استراتيجي كبير، لكن نجاحها يعتمد على قدرتها على إدارة التناقضات الداخلية

يشكل التحالف بين السعودية ومصر، أكبر قوتين عربيتين من حيث الثقل الديموغرافي والاقتصادي والعسكري، الركيزة الأساسية للمشروع السعودي العربي. في 25 فبراير 2026، عقد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي قمة مع ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في جدة، أكدا خلالها على رفض تهجير الفلسطينيين والتأكيد على حل الدولتين كأساس للسلام الإقليمي. وهذا التحالف يشكل في جوهره ردًا عربيًا مشتركًا على محاولات إسرائيل وإيران لاختراق العمق العربي وتقسيم المنطقة، حيث يجمع أكبر جيشين عربيين وأكبر اقتصادين عربيين في موقف موحد.

على المستوى الاقتصادي، أودعت السعودية 5 مليارات دولار في البنك المركزي المصري في مارس 2026، مع توقيع اتفاقية استثمارات بقيمة 10 مليارات دولار، مما يعزز استقرار القاهرة كركيزة أساسية للمشروع. أما عسكريًا، فانطلقت في فبراير 2026 مناورات "سيف العرب" في مصر بمشاركة سعودية، وشاركت مصر في مناورات "رماح النصر 2026" الجوية التي استضافتها السعودية، مما يعكس تكاملاً أمنيًا متزايدًا.

ويجمع البلدين أيضًا تنسيق مستمر في ملف أمن البحر الأحمر والقرن الأفريقي، حيث يعملان كـ"حارسين رئيسيين" للممر المائي الحيوي. مع الإشارة إلى أن مصر تحافظ في الوقت نفسه على علاقات متوازنة مع إيران (تاريخيًا) ومع إسرائيل (باتفاقية كامب ديفيد)، مما يضع التحالف في إطار شراكة استراتيجية لا تحالفا حصريا.

المشروع الاقتصادي والأردن، ومنطقة التجارة الحرة العربية، وصندوق استثماري لدعم الدول الهشة. الهدف: جعل المصالح المشتركة شبكة أمان ضد الصراعات بالوكالة. لكن نجاح هذه المشاريع يتطلب استقرارًا إقليميًا طويل الأمد، وهو ما تهدده الحرب الجارية.

- **نوّعت الرياض شراكاتها:** تعزيز العلاقة مع الصين (شريك استراتيجي شامل)، والحفاظ على الشراكة الأميركية، والتقارب مع تركيا، والانفتاح على روسيا في إطار أوبك+، إلى جانب التحالف مع فرنسا حول حل الدولتين. هذا التعدد حال دون انحصار المنطقة في اصطفاف أحادي، لكنه يضع الرياض في موقع صعب أحيانًا عند التناقض بين مصالح هذه الأطراف (مثل التوتر الأميركي – الصيني).

إلى جانب التحديات التي تواجهها، تعمل السعودية بشكل نشط على تعزيز قدراتها الداخلية وتقوية أسس مشروعها الإقليمي من خلال مسارات متعددة:

- **التحول الاقتصادي وتقليل الاعتماد على النفط:** أطلقت السعودية رؤية 2030 بهدف تنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على الإيرادات النفطية، وقد قطعت مراحل كبيرة في هذا المجال من خلال تطوير قطاعات السياحة، الترفيه، الصناعات العسكرية، والطاقة المتجددة. صناديق الاستثمار السيادية الضخمة، وفي مقدمتها صندوق الاستثمارات العامة الذي يدير أصولًا تتجاوز 700 مليار دولار، تعمل على تحقيق عوائد مستدامة وتقليل الهشاشة الاقتصادية أمام تقلبات أسعار النفط. هذه الإصلاحات الهيكلية تعزز قدرة الرياض على الاستمرار في مشاريعها الإقليمية دون انقطاع.
- **تنامي القوة العسكرية:** تشهد القدرات العسكرية السعودية تطورًا مطردًا، حيث زادت ميزانية الدفاع، وتوسعت برامج التوطين العسكري (مثل برنامج "تطوير الصناعات العسكرية")، وتم تعزيز أنظمة الدفاع الجوي والصاروخي بقدرات متطورة أثبتت كفاءتها خلال الحرب الجارية باعتراض 575 طائرة مسيرة و42 صاروخًا باليستيًا. هذا التنامي لا يقتصر على الجانب الدفاعي فقط، بل يشمل بناء قدرات ردع هجومية متنامية، مما يقلل الاعتماد على التحالفات الخارجية على المدى الطويل.
- **التحالفات المتعددة كمصدر قوة ومرونة:** بدلاً من أن تكون استراتيجية الانفتاح على الصين وروسيا مصدر ضعف، فإنها تشكل تمايزًا استراتيجيًا يمنح الرياض مرونة في إدارة علاقاتها الدولية. فالحفاظ على الشراكة الأميركية التقليدية إلى جانب تعزيز العلاقة مع الصين (شريك استراتيجي شامل) والتقارب مع روسيا في إطار أوبك+، يسمح للسعودية بالاستفادة من المصالح المتعددة دون رهن قرارها لأي طرف واحد. هذه الاستراتيجية تعكس نضجًا دبلوماسيًا وتضع المملكة في موقع فاعل في نظام دولي متعدد الأقطاب، بدلاً من أن تكون مجرد تابع في اصطفاف أحادي.

على عكس المشروعين التوسعيين، فإن ما تقوم به السعودية، من مبادرات متعددة في المجالات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية، يمكن قراءته كمحاولة لبناء معادلة إقليمية قائمة على التماسك والردع، بهدف تقليص الفجوات التي تستغلها القوى الإقليمية، ونقل الصراع إلى غرف التفاوض، ومنع تحول العالم العربي إلى مجرد ساحة لتنفيذ أجندات "إسرائيل الكبرى" و"إيران الكبرى".

لكن الحرب الدائرة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى تضع هذه المحاولة أمام اختبار صعب. ويمكن تصوّر سيناريوهين رئيسيين:

- **سيناريو النجاح:** إذا تمكنت السعودية من احتواء التصعيد العسكري، وإعادة توجيه الجهود نحو التحالف العالمي لتنفيذ حل الدولتين بعد انتهاء الحرب، وتعزيز التكامل الاقتصادي رغم الظروف، فقد تتحول هذه المبادرات إلى نموذج إقليمي قادر على فرض شروطه في أي ترتيب مستقبلي. ويزداد هذا السيناريو ترجيحًا بفضل التحالف الاستراتيجي مع مصر، الذي يوفر للرياض ثقلًا ديموغرافيًا وعسكريًا إضافيًا. وفي سيناريو النجاح، قد يتوسع التعاون العسكري السعودي – المصري ليشمل دولًا عربية أخرى، في إطار بناء قدرة ردع جماعية عربية تقلل الاعتماد على القوى الخارجية، وتشكل في المستقبل نواة لتحالف أمني عربي أوسع.
- **سيناريو الفشل:** إذا استمر التصعيد، وتوسعت رقعة الحرب لتشمل السعودية بشكل أكبر، أو إذا تعثرت المشاريع الاقتصادية بسبب الضغوط الأمنية، فقد تضطر هذه المبادرات إلى الانكماش والتراجع، مما يعيد المنطقة إلى منطق المشروعين الثنائيين. وفي هذا السيناريو، سينعكس التراجع مباشرة على التحالف مع مصر، الذي يعتمد على الاستقرار الاقتصادي والأمني في البلدين معًا.

في كلا الحالتين، تبقى الرياض أمام خيارات مصيرية. طرد الملحق العسكري الإيراني والتحذير من "إجراءات عسكرية" يشيران إلى أن المملكة قد تكون على أبواب تحول استراتيجي كبير، لكن مدى نجاحها في تحويل هذا التحول إلى معادلة إقليمية جديدة يعتمد على قدرتها على إدارة التناقضات الداخلية والخارجية في آنٍ معًا.

تحالف سعودي مصري لتغيير قواعد اللعبة

المغرب: من الاستباق الاستخباراتي إلى صناعة الاستقرار العالمي

البراق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

لا يمكن قراءة النجاح الأمني المغربي بمعزل عن الرؤية الملكية المتبصرة، التي أحدثت قطيعة إبستيمولوجية مع المفاهيم التقليدية للأمن، مخرجة إياه من الحيز الضيق للوظيفة الزجرية الصرفة، لتضعه في قلب السيادة الوطنية كخيار إستراتيجي وجودي لا يقبل التجزئة.

إن الملك محمد السادس، بصفته القائد والضامن لاستقرار الأمة المغربية واستمراريتها، أرسى دعائم هندسة أمنية متكاملة تتجاوز الحلول الترقيعية أو الاستجابات الظرفية، محوّلًا المؤسسة الأمنية إلى ركيزة بنيوية صلبة تضمن التوازن الدقيق بين هيبة الدولة ومقتضيات التنمية الشاملة، في تناغم فريد يزاوج بين الصرامة الميدانية والمرونة الحقوقية.

هذا الانتقال النوعي نحو التخطيط الإستراتيجي بعيد المدى هو الذي منح المملكة المناعة السيادية والقدرة على الصمود في وجه الأعاصير الجيوسياسية التي تعصف بالمنطقة. فالمقاربة الملكية لم تقف عند التخوم المادية لحماية الحدود، بل امتدت لتشمل تحصين الأمن القومي بمفهومه الشامل: الروحي، والمجتمعي، والسيبراني، مما حول الاستقرار المغربي من مجرد حالة واقعة إلى ثابت بنيوي وعقيدة راسخة.

هذا التميز جعل من المملكة مرجعًا ملهمًا للقوى العظمى، التي باتت ترى في الحكمة الملكية ليس فقط صمام أمان داخلي، بل حجر الزاوية لاستقرار الفضاءين المتوسطي والأطلسي والعمق القاري الأفريقي، ومحورًا لا غنى عنه في معادلة الأمن الدولي المعاصر.

وعلى هذا الأساس، فإن حصول المملكة المغربية على درجة الصفر في مؤشر الإرهاب العالمي لعام 2026 يتجاوز دلالات الرقم الإحصائي العابر، ليكون إعلانًا سياديًا عن بلوغ مرحلة الكمال العملياتي في إستراتيجية تدبير المخاطر الوطنية. هذا التميز الهيكلي لا يمكن تفسيره إلا بوجود تناغم مؤسساتي فائق ومقدّر بين كافة أجهزة الدولة الأمنية، التي انصهرت عقيدتها تحت قيادة ملكية موحدة وملهمة، تتبنى الاستباق الجراحي كمنهجية عمل لا محيد عنها.

لقد نجحت هذه الهندسة الأمنية الفذة في نقل ثقل المعركة جذريًا من رد الفعل التقليدي القائم على احتواء الأزمات بعد وقوعها، إلى مرحلة التفكيك الذهني واللوجستي المعقد للتهديد في طور جنونه، مما ضرب جدارًا من العزلة الوقائية التامة التي حمت الداخل الوطني من شرارات تأثير الدومينو المتصاعد والمدمّر في منطقة الساحل وجوارها المضطرب.

وتتبدى ذروة القوة السيادية للمملكة في القدرة الاستثنائية لمؤسساتها على إدارة القرب الخطير والمباشر من بؤر التوتر الإقليمي ببرودة أعصاب احترافية وثبات إستراتيجي، حيث يرسم التنسيق العضوي بين القوات المسلحة الملكية والدرك الملكي درعًا واقيًا عصيًا على الاختراق على طول الحدود البرية والساحلية، بينما تضطلع المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (DGST) بدور العقل المدبر الفائق والناظم داخل الحيز الوطني.

ويتعزز هذا البنيان الصلب بالدور الريادي للمديرية العامة للدراسات والمستندات (DGED)، التي تشكل الذراع الاستخباراتي الخارجي واليقظ للمملكة، حيث تعمل كمنظومة رصد استباقية خلف البحار والحدود، قادرة على قراءة المخاطر في مهدها البعيد وتفكيك الأجندات المعادية قبل اقترابها من السيادة المغربية.

إن هذا التكامل البنيوي، الذي يحوّل المعلومة الاستخباراتية فورًا إلى إجراء ميداني، قد ارتقى بالمملكة من مجرد فاعل أمني ناجح إلى مدرسة سيادية مرجعية قادرة على المزاوجة الخلاقة بين صرامة دولة القانون ونجاعة الأداء العملياتي، محققة بذلك أعلى درجات الحصانة الوطنية المستدامة التي تجعل من المغرب واحة للاستقرار وسط محيط من المتغيرات.

لا تكتمل أركان السيادة الأمنية المغربية إلا ببعدها القيمي والناعم، الذي يتجسد في تحصين الأمن الروحي للمغاربة تحت لواء مؤسسة إمارة المؤمنين، باعتبارها المرجعية العليا والضامن الرمزي والفعلي لوحدة الأمة. فالمملكة، بوعيها التاريخي المتجذر، أدركت مبكرًا أن المعركة ضد التطرف هي معركة وجودية وفكرية بامتياز؛ لذا فعّلت الدولة أدواتها العلمية والدينية المؤسساتية عبر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والرابطة المحمدية للعلماء، لتفكيك الشيفرات الأيديولوجية والأنظمة المعرفية لخطاب الكراهية في مهدها.

> السيادة الأمنية المغربية تجسد رؤية ملكية متبصرة تمزج بين الاستباق الاستخباراتي والتحصين الروحي

هذا النموذج الأصيل في الحكامة الدينية جعل من المملكة قلعة عصية على الاختراق الفكري أو الاستلاب المذهبي، مكرّسًا إسلامًا وسطيًا، منفتحًا ورافضًا للغلو، كجزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية الضاربة في عمق التاريخ.

وبالتوازي مع هذا التحصين العقدي تبرز عبقرية المقاربة المغربية في مأسسة الأمن البشري وربطه عضويا بالتنمية المستدامة، حيث تعد المشاريع القومية الكبرى والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية أذرعًا سيادية لتجفيف المنابع السوسيولوجية للاستقطاب الإرهابي.

إن تحويل الهشاشة الاجتماعية إلى طاقة إنتاجية وإدماجية هو في جوهره فعل أمني وقائي بعيد المدى، يمنع تحول الإحباط أو التهميش إلى بيئة حاضنة للفكر المتطرف. وبذلك، ترتقي المنظومة المغربية إلى نموذج كلي وشامل يتجاوز المقاربات الأمنية التقليدية التي تكتفي بمطاردة الخلايا، إلى إستراتيجية استئصالية للجذور الفكرية والاجتماعية التي قد تنتج التطرف، مؤمّنًا بذلك استدامة الاستقرار السيادي للأجيال القادمة في ظل دولة تجمع بين الهيبة والعدالة.

لقد نجحت المملكة المغربية في الارتقاء بخبرتها الأمنية من حيز التدبير الداخلي إلى مستوى أداة دبلوماسية سيادية رفيعة التأثير، يقودها عبداللطيف الحموشي، المدير العام للأمن وحماية التراب الوطني، من خلال التزامه الصارم بالرؤية الملكية، وعبر إدارة تعتمد أعلى معايير الحكامة الأمنية والاحترافية التي تربط عضويا بين استقرار الأمن القومي والموازين الجيوسياسية العالمية.

هندسة أمنية ملكية تعيد تعريف السيادة الوطنية

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

صناديق التحوّط تتخلى عن ترددها: رهان متجدد على دبي وأبوظبي

اختبار حقيقي لقدرة المراكز المالية على الصمود تحت الضغط

الإمارات نجحت في جذب شركات الاستثمار الدولية من خلال مزايا قوية مثل الإعفاء من الضرائب على الدخل، ومستويات الأمان الشخصي المرتفعة، إضافة إلى توفر رؤوس أموال كبيرة ومستقلة، وهي المزايا التي بددت مخاوف صناديق التحوط خلال الخرب.

لندن - في لحظة إقليمية مضطربة تتقاطع فيها الحسابات الجيوسياسية مع رهانات الأسواق، يبرز موقف لافت من قلب القطاع المالي العالمي: صناديق التحوّط، المعروفة بتحفّظها الشديد، تخرج عن صمتها لتعلن ثقتها العلنية في دبي وأبوظبي. هذا التحوّل غير المعتاد لا يعكس مجرد قراءة مالية باردة، بل يكشف عن قناعة متزايدة بأن جاذبية الإمارات تتجاوز تقلبات المشهد الأمني، وتستند إلى أسس أعمق تجعلها لاعبًا ثابتًا في خريطة المال العالمية.

وفي هذا السياق، أكدت شركة "ميلينيوم مانجمنت" التزامها تجاه دبي من خلال رسالة داخلية وُجّهت إلى موظفيها، واطّلعت عليها وكالة بلومبيرغ للأنباء. وأوضحت الشركة أنها تدرس خيارات نقل بعض الموظفين الذين لم يعودوا يرغبون في البقاء في الإمارة إلى مواقع أخرى، لكنها في الوقت نفسه تتوقع الاستمرار في تشغيل مكتبها هناك.

وشدّد جان لوك روغ، الرئيس التنفيذي للشركة في الإمارات، على أن المؤسسة لا تزال ترى في دبي مركزًا إقليميًا يتمتع بآفاق واعدة على المدى الطويل. كما عبّر عن تقديره للكوادر عالية الكفاءة التي تعتبر دبي موطنًا لها، واختارت بناء حياتها المهنية والشخصية في هذه البيئة. ولم تكن "ميلينيوم مانجمنت" وحدها التي تبنّت هذا التوجه، إذ عبّر ساندر جيربر، الرئيس التنفيذي لشركة "هدسون باي كابيتال مانجمنت"، عن موقف مماثل، مؤكدًا في تصريح لوكالة بلومبيرغ نيوز ثقته في استمرار الإمارات كوجهة رئيسية للاستثمار طويل الأجل وللكفاءات المؤهلة. وقد عززت شركته هذا التوجه من خلال افتتاح مكتب جديد في أبوظبي، في خطوة توسّع من حضورها إلى جانب أنشطتها القائمة في دبي.

ومن جانب آخر، أعلنت شركة "فيريشن فاند مانجمنت" نيتها تمديد عقد إيجار مكتبها في دبي لمدة خمس سنوات، مع توقعات بتوسيع عملياتها في منطقة الشرق الأوسط. وأشار ممثل الشركة إلى قناعة راسخة باستقرار المنطقة على المدى الطويل وبقوة مؤسساتها الاقتصادية. كما لفت إلى أن الإمارات تمضي قدمًا في التحول إلى مركز مالي عالمي متزايد الأهمية، ومحور رئيسي لتدفقات رؤوس الأموال المؤسسية في منطقة الخليج.

وتحمل هذه التصريحات دلالات لافتة، نظرًا لندرتها في قطاع صناديق التحوّط، حيث يُعدّ الحفاظ على السرية إحدى أبرز سمات العمل. غير أن هذا الانفتاح النسبي يُسلّط الضوء على التوجهات الاستراتيجية لهذه الشركات تجاه الإمارات، التي تواصل تعزيز موقعها كمركز رئيسي لإدارة الأموال. وفي السياق ذاته، قررت مؤسسات مثل "إكسودس بوينت كابيتال مانجمنت" و"بالياسني أسيت مانجمنت" إطلاق عمليات في المنطقة، رغم التحديات التي يفرضها الصراع الإقليمي المستمر.

لكن هذه الثقة لا تخلو من اختبارات صعبة. فقد أصبحت الإمارات هدفًا لهجمات بالصواريخ والطائرات المسيّرة، وهو ما أثّر على صورتها كمركز اقتصادي عالمي ووجهة جاذبة لرؤوس الأموال والمواهب. وفي المراحل الأولى من الحرب، عبّر بعض متداولي صناديق التحوّط عن قلقهم من التحذيرات الأمنية وضجيج الانفجارات، ما دفع بعضهم إلى التفكير في الانتقال إلى دول مجاورة مثل سلطنة عُمان أو المملكة العربية السعودية.

> **معادلة دقيقة تعيشها الإمارات: ثقة مالية راسخة من كبرى المؤسسات الاستثمارية العالمية، في مقابل تحديات أمنية**

وفي مواجهة هذه الظروف، أقرت "ميلينيوم مانجمنت" بصعوبة الوضع وغياب سوابق مماثلة له، لكنها أكدت التزامها بدعم موظفيها في التعامل مع تداعيات النزاع، وفضّلت عدم الإدلاء بتصريحات إضافية عبر متحدثها الرسمي.

ويُظهر مسار توسّع صناديق التحوّط في الإمارات أن الدافع لم يكن مؤسسيًا بحتًا، بل لعبت رغبات المتداولين أنفسهم دورًا محوريًا في هذا التوجه. وأطلقت "ميلينيوم مانجمنت" عملياتها في دبي استجابة لرغبة أحد أعضاء فريقها في العمل بها، مع توقعات لاحقة بالتوسع في السوق. ومع تزايد اهتمام موظفين آخرين بالانتقال، توسّع المكتب ليضم نحو 120 موظفًا موزعين على حوالي 25 فريقًا.

وقبل اندلاع الحرب، كثّفت كل من دبي وأبوظبي جهودهما لجذب شركات الاستثمار الدولية، مستفيدتين من مجموعة من العوامل التي عززت جاذبيتهما للعمالة الوافدة. وشملت هذه العوامل الإعفاء من الضرائب على الدخل، ومستويات الأمان الشخصي المرتفعة، والتوقيت الجغرافي المناسب، إضافة إلى توفر رؤوس أموال كبيرة ومستقلة.

وتبرز الثروة السيادية كعامل جذب رئيسي في أبوظبي، حيث تلعب هيئة أبوظبي للاستثمار دورًا محوريًا في هذا المجال، إذ تُشرف على أصول تُقدّر بنحو 1.1 تريليون دولار. وقد وسّعت الهيئة استخدام الحسابات المُدارة بشكل منفصل لتوظيف حصص كبيرة من رأس المال في عدد كبير من صناديق التحوّط. وفي المقابل، تتميز دبي بحضور قوي للثروات الخاصة، حيث يُعد مركزها المالي مقرًا رئيسيًا لمكاتب إدارة الثروات العائلية التي تدير أصولًا تتجاوز قيمتها تريليون دولار.

ومع تصاعد التوترات، اتخذت بعض شركات وول ستريت إجراءات مؤقتة سمحت لموظفيها في الإمارات بالعمل عن بُعد أو الانتقال إلى مواقع أخرى. ورغم ذلك، استمرت مظاهر الحياة الاقتصادية في الإمارة إلى حد كبير، إذ بقيت المتاجر والمطاعم مفتوحة، فيما تحولت العديد من المؤسسات إلى نماذج العمل عن بُعد.

وتتقدم دبي وأبوظبي بسرعة نحو ترسيخ مكانتهما كمركزين محوريين لمديري الأصول الراغبين في إطلاق أعمالهم بشكل مستقل، في تطور يعكس انتقالًا نوعيًا من مجرد استقطاب الفروع إلى بناء منظومة مالية متكاملة لإدارة الأموال.

فخلال السنوات الأخيرة، نجحت المدينتان في جذب فروع لعدد من أكبر صناديق التحوّط متعددة الاستراتيجيات في العالم، إلا أن المرحلة الحالية تكشف عن اتجاه جديد أكثر عمقًا، يتمثل في انتقال مديري محافظ بارزين من العمل داخل هذه الكيانات الضخمة إلى تأسيس صناديقهم الخاصة انطلاقًا من الإمارات. ويشير هذا التحول إلى أن الدولة لم تعد مجرد مركز تشغيلي، بل أصبحت بيئة حاضنة لإنتاج مديري أصول جدد وبناء شركات استثمارية من الصفر.

الإمارات قبلة المستثمرين

ورغم أن الإمارات تمتلك واحدًا من أكبر تجمعات رؤوس الأموال السيادية في العالم، بأصول تُقدّر بتريليونات الدولارات، فإن اللافت أن العديد من هذه الانطلاقات الجديدة لا تعتمد في مراحلها الأولى على التمويل المحلي، بل تحصل على دعمها الأساسي من مؤسسات مالية كبرى في الولايات المتحدة وأوروبا. ويعكس ذلك تداخلًا بين رأس المال الغربي والخليجي، حيث توفر الإمارات البيئة التشغيلية والبنية التحتية، بينما يأتي التمويل التأسيسي في كثير من الحالات من الخارج.

تكشف هذه التطورات عن معادلة دقيقة تعيشها الإمارات: ثقة مالية راسخة من كبرى المؤسسات الاستثمارية العالمية، في مقابل تحديات أمنية تفرضها البيئة الإقليمية المتقلبة. وبين هذين المسارين، تواصل الدولة اختبار قدرتها على الحفاظ على جاذبيتها كمركز مالي عالمي، حتى في أحلك الظروف.

في النهاية، لا تختصر قصة صناديق التحوّط في الإمارات مجرد توسّع جغرافي أو بحث عن فرص استثمارية، بل تعبّر عن اختبار حقيقي لقدرة المراكز المالية على الصمود تحت الضغط. وبين ضجيج المخاطر وصوت الثقة، ترسم دبي وأبوظبي معادلة دقيقة: كيف يمكن لمركز مالي أن يحافظ على بريقه في عين العاصفة. وحتى الآن، يبدو أن الرهان لا يزال قائمًا... وربما في تصاعد.

ارتفاع أسعار الطاقة يضع المالية التونسية أمام اختبارات جديدة

تونس - يحذر خبراء اقتصاديون من أن تداعيات الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران قد تفرض ضغوطًا إضافية على الاقتصاد التونسي، في وقت تعاني فيه البلاد أصلا من إخلالات هيكلية، ما يفتح الباب أمام سيناريوهات مالية صعبة، من بينها احتمال اللجوء إلى موازنة تكميلية وإجراءات تقشفية.

ومنذ اندلاع الحرب في 28 فبراير الماضي، شهدت أسعار النفط والغاز ارتفاعًا ملحوظًا، وسط مخاوف من انعكاسات أوسع على الاقتصاد العالمي، خاصة في ما يتعلق بتصاعد الضغوط التضخمية.

وتأتي هذه التطورات في سياق اقتصادي داخلي هش، إذ تواجه تونس منذ سنوات تحديات متراكمة، تفاقمت بفعل تداعيات جائحة كورونا، وارتفاع كلفة واردات الطاقة والمواد الأساسية، إضافة إلى آثار الحرب الروسية – الأوكرانية.

في هذا السياق أوضح أستاذ الاقتصاد بالجامعة التونسية آرام بلحاج أن "موازنة 2026 بُنيت على فرضية سعر في حدود 63 دولارًا لبرميل النفط"، معتبرًا أن "أي ارتفاع كبير فوق هذا المستوى سيكون من الصعب استيعابه، سواء من قبل الدولة أو الفاعلين الاقتصاديين أو المواطنين".

وقد تجاوزت الأسعار هذه الفرضيات بالفعل، إذ بلغ سعر خام برنت نحو 107 دولارات للبرميل، في حين سجل خام غرب تكساس الوسيط قرابة 93 دولارًا، في ظل توترات متزايدة في الإمدادات، خصوصًا مع القيود المفروضة على المرور عبر مضيق هرمز، الذي يمثل شريانًا رئيسيًا لنقل النفط عالميًا.

ويرى بلحاج في تصريح للأناضول أن "العجز المبرمج في الموازنة، والمقدّر بنحو 11 مليار دينار، مرشح للاتساع تحت تأثير هذه التطورات"، مرجحًا أن "تتحمل الدولة جزءًا من كلفة ارتفاع الأسعار، وهو ما سينعكس بدوره على المالية العمومية".

كما لا يستبعد تسارع التضخم وارتفاع نسب الفائدة، التي تبلغ حاليًا نحو 7 في المئة، بالتوازي مع تفاقم العجز الطاقي، مشيرًا إلى أن هامش تحرك الدولة يظل محدودًا، في ظل احتمال اللجوء إلى تعديل أسعار الوقود والكهرباء.

ويدعو بلحاج إلى "الاستعداد لمختلف السيناريوهات عبر تعزيز قدرات تخزين الطاقة، وتطوير الشراكات الإقليمية، خاصة مع الجزائر وليبيا، إلى جانب اعتماد أدوات التحوط في شراء النفط".

ضغوط متزايدة

السياحة تحت الضغط

من جهته يلفت الخبير الاقتصادي رضا الشكندالي إلى أن "تداعيات الحرب قد تمتد إلى موارد تونس من العملة الصعبة، سواء عبر تراجع تحويلات التونسيين بالخارج، التي تجاوزت 3 مليارات دولار في 2025، أو من خلال انكماش مداخيل السياحة".

آرام بلحاج

العجز المبرمج في الموازنة مرشح للاتساع تحت تأثير هذه التطورات

رضا الشكندالي

السيناريو الأقل كلفة يظل مرتبطًا بعودة التهدئة في المنطقة

ويعزو ذلك إلى الضغوط التضخمية في دول الإقامة، خاصة في أوروبا ودول الخليج، ما يقلص القدرة الشرائية للمغتربين، وبالتالي حجم تحويلاتهم، إضافة إلى تراجع الطلب السياحي نتيجة تآكل القدرة الشرائية للأوروبيين.

كما يشير إلى احتمال تشديد السياسات النقدية في الاقتصادات الكبرى، عبر رفع نسب الفائدة، وهو ما سيرفع كلفة خدمة الدين الخارجي على تونس، ويزيد الضغوط على موازنتها.

ويقدّر الشكندالي أن "التداعيات المباشرة على المالية العمومية قد تبلغ نحو 6.4 مليار دينار، مع احتمال لجوء الدولة إلى الاقتراض الداخلي لتغطية هذا العجز، وهو خيار يحمل مخاطر تضخمية إضافية".

خيارات محدودة

في ضوء هذه المعطيات يطرح الشكندالي جملة من الخيارات المتاحة أمام الحكومة، وإن كانت جميعها ذات كلفة اقتصادية واجتماعية متفاوتة.

من بين هذه الخيارات تأجيل بعض المشاريع المبرمجة، وتأجيل الانتدابات في القطاع العمومي، إلى جانب مراجعة أسعار المحروقات، أو تأجيل الزيادات في الأجور.

كما يتوقع أن يؤدي استمرار ارتفاع أسعار الطاقة إلى ضغوط تضخمية إضافية، قد تدفع البنك المركزي إلى رفع نسبة الفائدة مجددًا، مع ما لذلك من انعكاسات على النمو والاستثمار.

وعلى مستوى المؤشرات الخارجية يُرجّح أن يتسع العجز التجاري، ويتأثر ميزان المدفوعات بتراجع موارد العملة الصعبة، ما قد يضغط على قيمة الدينار.

ويرى الشكندالي أن السيناريو الأقل كلفة يظل مرتبطًا بعودة التهدئة في المنطقة، عبر المساعي الدبلوماسية، بما يحدّ من هذه التداعيات.

نحو موازنة تكميلية محتملة

بدوره يحذر وزير التجارة الأسبق محمد المسيليني من أن استمرار التوترات، خاصة في حال تعطل الإمدادات عبر مضيق هرمز أو استهداف منشآت الطاقة، قد يدفع أسعار النفط إلى مستويات أعلى، قد تصل إلى ما بين 150 و200 دولار للبرميل.

وفي هذه الحالة تصبح الفرضيات التي بُنيت عليها موازنة 2026 غير قابلة للاستمرار، ما قد يفرض على الدولة إعداد موازنة تكميلية، لمواكبة المتغيرات.

ويشير المسيليني إلى أن الخيارات المتاحة قد تشمل تعديل أسعار الطاقة، واللجوء إلى الاقتراض الداخلي، أو إعادة جدولة بعض المشاريع، في ظل صعوبات متزايدة في النفاذ إلى التمويل الخارجي.

ويحذر كذلك من أن موجة ارتفاع الأسعار قد لا تقتصر على الطاقة، بل تمتد إلى مواد أساسية أخرى، في ظل توجه عالمي متزايد نحو التخزين، وهو ما قد يفاقم الضغوط المعيشية.

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

الثقة هي رأس المال الحقيقي الوحيد المتبقي للإعلام العمومي

التحديات الوجودية التي تواجه الإعلام العمومي تهدد بظهور صحارٍ إخبارية عالمية

معلومات موثوقة

في ظل تسارع التحولات التكنولوجية يبدو أن مستقبل الإعلام العمومي في العالم العربي، كما في باقي العالم، لن يُحسم بالتكنولوجيا وحدها، بل بقدرته على حماية "رأس ماله" الأهم: الثقة التي يمنحها إياه جمهوره، وهي الوحيدة القادرة على تمييزه وسط بحر الضجيج الرقمي المتزايد.

لندن - أكدت دراسات أن الإعلام العمومي في مختلف أنحاء العالم يواجه تحديات غير مسبوقة ناتجة عن صعود المنصات الاجتماعية العملاقة والضغوط السياسية من الحكومات، فيما يسعى إلى استغلال الفرص الرقمية الجديدة للحفاظ على دوره في تعزيز الديمقراطية والتنوع الثقافي.

في الدول العربية تتخذ هذه التحديات بعدا خاصا، حيث يعاني الإعلام العمومي من هيمنة المنصات الرقمية العالمية مثل يوتيوب وتيك توك وميتا، التي تسيطر على توزيع المحتوى وعائدات الإعلان. ورغم ذلك يبرز الإعلام العمومي كإحدى آخر الجزر المتبقية التي لا تزال تحظى بمستوى نسبي من الثقة لدى الجمهور، وفقاً لخبراء ودراسات حديثة.

ويصف مراقبون هذه الثقة بأنها "رأس المال الحقيقي الوحيد" الذي يمتلكه الإعلام العمومي في مواجهة هيمنة المنصات الرقمية العملاقة والضغوط السياسية والمالية المتزايدة.

ووفقاً لتقرير معهد رويترز لدراسة الصحافة بقيت الثقة العامة في الأخبار مستقرة عند 40 في المئة للسنة الثالثة على التوالي، رغم التراجع الملحوظ في التفاعل مع وسائل الإعلام التقليدية. ويبرز الإعلام العمومي في دول مثل بريطانيا وألمانيا واليابان كمرجع أساسي للتحقق من الأخبار، حيث يلجأ إليه الجمهور أكثر من غيره عند الشك في مصداقية المعلومات المتداولة.

أما في العالم العربي فتظهر بيانات إيدلمان تراست بارومتر صورة مختلفة: الثقة في المؤسسات الحكومية مرتفعة نسبيا، خاصة في دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، حيث تحتلان مراكز متقدمة عالمياً في مؤشر الثقة العام. غير أن الثقة في الإعلام عموما، بما في ذلك الإعلام العمومي، تبقى أقل، وتتأثر كثيرا بالضغوط السياسية والفجوة الرقمية العميقة.

ووفقاً لتقارير ومناقشات في اتحاد إذاعات الدول العربية وقمم الإعلام العربي، أصبحت المنصات الاجتماعية قوى اقتصادية وثقافية كبرى تتحكم في أنماط الإنتاج والاستهلاك، ما يقلل من تأثير المحتوى العمومي التقليدي.

ورغم أن عدد مستخدمي الإنترنت في الدول العربية يقارب 348 مليون شخص (حوالي 70 في المئة من السكان)، إلا أن حصة المحتوى العربي على الإنترنت لا تتجاوز نسبة ضئيلة، ما يعكس فجوة رقمية عميقة. كما أن أكثر من 60 في المئة من استهلاك الفيديو عبر الإنترنت يتم عبر منصات غير مرخصة (قرصنة).

وقال المهندس عبدالرحيم سليمان، المدير العام لاتحاد إذاعات الدول العربية، "اتحاد إذاعات الدول العربية يقود التحول الرقمي في الإعلام العربي". وأشار إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في تبادل الأخبار عبر منصات السحابة والإذاعة، مع تنظيم عشرات الدورات التدريبية في عام 2025 حول الذكاء الاصطناعي، استفاد منها العشرات من الإعلاميين العرب.

تُضاف إلى ذلك الضغوط السياسية. ففي عدة دول عربية يواجه الإعلام العمومي اتهامات بالانحياز أو محاولات للسيطرة عليه، سواء من خلال التدخل في التعيينات أو توجيه المحتوى أو تقييد التغطية الميدانية. وفي الوقت نفسه تعاني بعض المؤسسات من نقص التمويل المستدام، خاصة مع تراجع عائدات الإعلانات التقليدية التي انتقلت إلى الشركات التكنولوجية العالمية.

> منصات التواصل أصبحت قوى كبرى تتحكم في أنماط الإنتاج والاستهلاك، مما يقلل من تأثير المحتوى العمومي التقليدي

رغم هذه التحديات يبحث الإعلام العمومي العربي عن فرص جديدة في الرقمنة. وتشهد دول مثل الإمارات ومصر والسعودية إستراتيجيات وطنية للتحول الرقمي تشمل تطوير المحتوى الرقمي، واستخدام الذكاء الاصطناعي في إنتاج وتخصيص المحتوى، وإطلاق منصات خاصة أو تعاون مع المنصات العالمية.

وأكدت قمة الإعلام العربي 2025 ومؤتمرات اتحاد إذاعات الدول العربية أهمية توظيف الذكاء الاصطناعي والتحول إلى "الرقمي أولاً"، مع التركيز على مكافحة المعلومات المضللة وبناء الثقة لدى الجمهور الشاب.

كما يسعى الاتحاد إلى تعزيز التعاون الإقليمي لتبادل المحتوى الرقمي وتطوير البنية التحتية، بالإضافة إلى الاستفادة من تجارب عالمية في إستراتيجيات التواصل الاجتماعي.

ويحذر الخبراء من أن عدم التكيف السريع قد يؤدي إلى تراجع دور الإعلام العمومي كضامن للتعددية والتعليم والثقافة الوطنية. ومع ذلك، تبقى له ميزة أساسية: الثقة النسبية مقارنة بالمحتوى التجاري أو المضلل المنتشر على المنصات.

ولا يقتصر الأمر على العالم العربي، ففي أوروبا وأميركا الشمالية أصبح الإعلام العمومي هدفاً لانتقادات سياسية متزايدة. فقد شهدت بي.بي.سي البريطانية خلافات علنية مع السياسيين حول موضوعات مثل غزة وحقوق المتحولين جنسياً، ما أدى إلى استقالات في قيادتها ومطالبات بتقليص تمويلها. وفي ألمانيا طالبت أحزاب شعبوية مثل "البديل من أجل ألمانيا" بخفض نطاق عمل "أرد" وتمويلها. أما في سويسرا فيُنتظر استفتاء يقترح خفض رسوم الترخيص بأكثر من الثلث، ما قد يقطع نصف دخل الإعلام العمومي.

وقال ماريوس دراغومير، مدير مركز أبحاث الإعلام والصحافة، في توقعاته لعام 2026 "أتوقع أن يستمر عدم الاستقرار المالي في التسارع: تجميد الميزانيات والتخفيضات وإعادة الهيكلة لم تعد مقتصرة على الدول المتأثرة بالأزمات، بل تمتد إلى أنظمة كانت تعتبر مستقرة سابقاً".

وأشار تقرير الاتحاد الأوروبي للإذاعات إلى انخفاض تمويل الإعلام العمومي في أوروبا بنسبة 10.9 في المئة خلال العقد الماضي، ما يعيق قدرته على المنافسة مع المنصات العالمية.

وفي الولايات المتحدة كان الوضع أكثر حدة. فقد أدت تخفيضات تمويلية كبيرة إلى إغلاق مؤسسة الإذاعة العمومية عملياً، ما يهدد مئات المحطات المحلية في المناطق الريفية والقبلية.

ووصف مسؤولو الإعلام العمومي هذه التخفيضات بأنها "كارثية"، محذرين من ظهور "صحارٍ إخبارية" حيث يفقد المواطنون الوصول إلى معلومات موثوقة.

عالميّا أبرز تقرير اليونسكو لاتجاهات حرية التعبير انخفاضاً بنسبة 10 في المئة في مؤشر حرية التعبير منذ عام 2012، مع ارتفاع الرقابة الذاتية بين الصحفيين بنسبة 63 في المئة، وتزايد السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام بنسبة 48 في المئة. كما حذر تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي من أن المعلومات المضللة أصبحت أكبر مخاطر العامين المقبلين.

أما الذكاء الاصطناعي فقد أصبح سيفا ذا حدين. وأظهرت دراسة عالمية كبرى قادتها بي.بي.سي والاتحاد الأوروبي للإذاعات (شملت 22 مؤسسة إعلامية عمومية في 18 دولة و14 لغة) أن أدوات الذكاء الاصطناعي مثل شات. جي.بي.تي تشوه بانتظام محتوى الإعلام العمومي، ما يثير مخاوف حول دقة المعلومات التي يتلقاها الملايين من المتابعين يومياً.

ومع ذلك، يرى خبراء أن الإعلام العمومي يمكنه استخدام الذكاء الاصطناعي لتخصيص المحتوى ومكافحة المعلومات المضللة، بشرط الحفاظ على الشفافية والمصداقية.

حملة على وزير الإعلام اللبناني لشطب عبارة «المقاومة» من الإعلام الرسمي

بيروت - يواجه وزير الإعلام اللبناني بول مرقص حملة سياسية وإعلامية عنيفة ومنظمة من أنصار حزب الله ووسائل إعلام مقربة منه، بعد إصداره تعميماً يلزم الإعلام الرسمي بتنفيذ قرار مجلس الوزراء الصادر في 2 مارس 2026، والذي يحظر بث أنشطة الحزب العسكرية والأمنية ويطالب بعدم استخدام مصطلح "المقاومة" عند الإشارة إليه.

وكان الوزير مرقص قد وجه تعميماً إلى تلفزيون لبنان والوكالة الوطنية للإعلام (NNA) يطلب فيه الالتزام بقرار مجلس الوزراء، الذي اعتبر الأنشطة العسكرية والأمنية لحزب الله "غير قانونية" ويطالب بحصر السلاح بيد الدولة اللبنانية. ويشمل التعميم عدم بث خطابات أمين عام حزب الله نعيم قاسم مباشرة إذا تضمنت انتقادات للدولة، وعدم نشر بيانات الجناح العسكري كاملة أو إرفاق شعار الحزب، مع الاكتفاء بتلخيصها واستخدام الاسم الرسمي "حزب الله" بدلاً من "المقاومة" أو "المجاهدين".

وبرر الوزير مرقص الخطوة بأن "لبنان ملتزم بقرارات الحكومة"، مؤكداً أن الإعلام الرسمي يجب أن يعكس موقف الدولة اللبنانية الرسمي، خاصة في ظل التوترات الأمنية والعدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان.

ووجّه مرقص نداءً إلى الإعلاميين والمؤثرين وروّاد وسائل التواصل الاجتماعي، داعياً إلى الوعي بمخاطر هذه المرحلة ودرء الفتنة وخطاب الكراهية وسائر أشكال التحريض التي تحصل عبر الإعلام أو المنصات الرقمية، كما أشار إلى الوحدة المتخصصة التي أنشئت في وزارة الإعلام بالتعاون مع منظمة يونسكو، والتي جرى تفعيلها لمكافحة الأخبار الزائفة والمضللة.

وأثارت هذه الخطوة حملات تحريض وتخوين ضد الوزير، شملت اتهامات بالخيانة والتآمر، خاصة من قبل صحيفة "الأخبار" ومنصات إعلامية مقربة من حزب الله.

وأثارت الخطوة حملة انتقادات حادة من أنصار حزب الله ووسائل إعلام مقربة منه (مثل صحيفة "الأخبار")، التي اعتبرتها "تخويناً" و"تنازلاً" أمام الضغوط الدولية والإقليمية. في المقابل، رحب بها معارضو الحزب، معتبرين إياها خطوة نحو "استعادة سيادة الدولة" و"تطهير الخطاب الرسمي من مصطلحات ذات طابع إرهابي".

> الحملة ضد الوزير وصفت بأنها «مبرمجة ومشبوهة» تهدف إلى الضغط على كل مسؤول يلتزم بقرارات الدولة

وأعربت أحزاب معارضة للحزب عن تضامنها الكامل مع مرقص. وقالت الدائرة الإعلامية في حزب "القوات اللبنانية" في بيان رسمي "إن 'ذنب' الوزير مرقص، بالنسبة إلى الجهات التي تقود هذه الحملة، أنه قرر الالتزام بقرار مجلس الوزراء الصادر في 2 مارس الماضي". واعتبرت الحملة "مبرمجة ومشبوهة" تهدف إلى الضغط على كل مسؤول يلتزم بقرارات الدولة.

كما أعلن جهاز الإعلام في حزب "الكتائب اللبنانية" تضامنه مع الوزير، مؤكدا أن موقفه "يصب في المصلحة اللبنانية العليا". وفي تغريدة منتشرة على منصة إكس، كتب الصحفي شارل جبور "لم أكن لأعلم، لولا حملة التحريض التي تشنّها صحيفة 'الأخبار'، أن وزير الإعلام بول مرقص وجّه بعدم استخدام مصطلح ما يُسمّى 'المقاومة'... تحية للوزير مرقص على خطوة تصبّ في المصلحة اللبنانية العليا وتنهي ترويج المصطلحات الإرهابية في الإعلام الرسمي".

وأضاف في تغريدة أخرى:

@charlesjabbour

#لم أكن لأعلم، لولا حملة التحريض التي تشنّها صحيفة «الأخبار»، أن وزير الإعلام بول مرقص وجّه بعدم استخدام مصطلح ما يُسمّى «المقاومة» وغيره تنفيذا لقرار حظر أنشطة حزب الله. تحية للوزير مرقص على خطوة تصبّ في المصلحة اللبنانية العليا وتنهي ترويج المصطلحات الإرهابية في الإعلام الرسمي.

ورد الوزير مرقص على الحملة مؤكدا أنها "لن تثنيه ولن تضعف عزيمته في متابعة مهماته الوزارية"، مشددا على أنه ينفذ فقط قرارات مجلس الوزراء كرجل دولة وقانون.

وفي تصريحات سابقة، أوضح أن التعميم يسري على جميع الأحزاب، وليس موجها ضد حزب واحد فقط.

ويأتي هذا التوتر في سياق حساس تشهده الساحة اللبنانية، حيث تسعى حكومة رئيس الوزراء نواف سلام إلى تعزيز سيادة الدولة وتنفيذ خطة حصر السلاح غير الشرعي، وسط خلافات سياسية عميقة مع حزب الله وحلفائه، وفي ظل الضغوط الدولية والإقليمية المتصلة بتطورات المنطقة.

إتش.بي.أو تعيد «هاري بوتر» إلى الحياة في أكبر عمل على الإطلاق

لندن - ستكون إعادة إنتاج مسلسل "هاري بوتر" التلفزيوني الذي سيُعرض في عيد الميلاد هذا العام "أكبر شيء" قامت به إتش.بي.أو على الإطلاق، وفقاً لمدير البث العالمي في وارنر بروس ديسكفري جي بي بيريت، وذلك مع إطلاق المجموعة لخدمة إتش بي أو ماكس في المملكة المتحدة.

وقال بيريت إن وارنر بروس ديسكفري تهدف إلى بناء قاعدة المشتركين بأسرع وقت ممكن قبل الاستحواذ المتفق عليه مع باراماونت، والذي لا يزال يحتاج إلى موافقة الجهات التنظيمية.

ومن المتوقع، حسب المحللين، أن يؤدي الاستحواذ إلى دمج إتش بي أو ماكس مع خدمة البث المنافسة باراماونت بلس، مما يثير تساؤلات حول سبب استمرار وارنر بروس ديسكفري في دعم إطلاق خدمة بث جديدة مكلفة في المملكة المتحدة.

وقال بيريت، في تصريحات قبل إطلاق إتش.بي.أو.ماكس في المملكة المتحدة وأيرلندا هذا الأسبوع، إن وارنر بروس ديسكفري بحاجة إلى الاستمرار في العمل بشكل مستقل بينما تخضع الصفقة للتدقيق من قبل الهيئات التنظيمية في جميع أنحاء العالم.

وأضاف في تصريحات لصحيفة فايننشيال تايمز أن "سعر الاستحواذ الذي تم دفعه يفترض أننا نواصل دفع هذا العمل إلى الأمام ونرى نمواً مستمراً في الأعمال الأساسية". وتابع أنه في رأيه "لا يوجد أي احتمال، نظراً للإرث والتاريخ وقيمة العلامة التجارية في علامة إتش بي أو، ألا تستمر في الوجود بصيغة أو بأخرى لسنوات عديدة جداً قادمة".

وحددت وارنر بروس ديسكفري موعد إطلاق الموسم الأول المكون من ثماني حلقات من "هاري بوتر" حوالي عيد الميلاد، والذي بدأ تصويره في المملكة المتحدة منذ الصيف الماضي، وربما بعد اكتمال استحواذ باراماونت.

وقال بيريت "سوف يكون بوتر أكبر شيء قمنا به على الإطلاق"، مضيفاً أن فريق إتش.بي.أو لديه سجل قوي في تطوير الامتيازات الحالية مثل "ديون" وسلسلة الرعب "آي تي" و"بينغوين". لكنه أشار إلى "الكم الهائل من الإرث وقاعدة المعجبين المثبتة" للسلسلة على أنها أكبر بكثير.

ومن المخطط أن يستمر المسلسل لمدة 10 سنوات ويتبع هيكل الكتب السبعة الأصلية للكاتبة جي كي رولينغ.

وتابع "بوتر على مستوى آخر تماماً، وبصراحة ربما يكون أكبر ملكية فكرية فردية في الشركة. لذا ستكون هناك دائماً مخاطر، وسيكون هناك دائماً جمهور وشرائح من المعجبين ستكون صعبة وستعارضها. لكننا واثقون جداً، بناءً على كل ما رأيناه، من أنها ستكون سلسلة رائعة".

وأقر بأن إتش. بي. أو ماكس تأتي إلى السوق بعد منافسيها الرئيسيين، لكنه جادل بأن خدمة البث ستظل جذابة، ليس من خلال تقديم كل شيء للجميع، بل من خلال التركيز على البالغين والعائلات مع مسلسلات مكتوبة عالية الجودة مثل "هاوس أوف ذا دراغون".

وقال بيريت "لا نعتقد أن الزبائن يقولون: ما ينقص هو المزيد من المحتوى. يقول المستهلكون: ما ينقص هو محتوى أفضل".

> وارنر بروس ديسكفري تريد تنمية خدمة البث إتش.بي.أو.ماكس في المملكة المتحدة قبل أن تستحوذ عليها باراماونت

وقال أندرو جورجيو، رئيس ومدير العمليات في المملكة المتحدة وأيرلندا، إن الخدمة الجديدة ستحصل أيضاً على دفعة من إضافة تي إن تي سبورت، مشيراً إلى أن "ملايين الزبائن سيأتون إلى الخدمة من اليوم الأول، ما سيساعد في جعل الخدمة مكاناً أكثر اعتياداً للعودة إليه بشكل أسبوعي".

بناء قاعدة في أسرع وقت

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

هل يتحول الناتو إلى «نمر بلا أسنان»؟

الناتو نمر من ورق

علي قاسم
كاتب سوري

قبل أن يبرد رماد الحرب العالمية الثانية، وتحديدا في منتصف القرن العشرين، أدركت القوى الغربية أن السلام الدائم لا يمكن أن يقوم على مجرد نصوص موقعة، بل يحتاج إلى هندسة أمنية جماعية تحول دون عودة كابوس الصراع الأوروبي. هكذا وُلد حلف شمال الأطلسي (الناتو) في عام 1949، ليكون أكثر من مجرد معاهدة دفاع مشترك؛ لقد كان تجسيداً لوعد أميركي صارم: "الهجوم على واحد هو هجوم على الجميع"، وذلك بموجب المادة الخامسة التي شكلت جوهر الردع طوال عقود الحرب الباردة. فمنذ تأسيسه، لم يكن الناتو مجرد تحالف عسكري، بل كان الأداة التي أعادت رسم خريطة النفوذ في أوروبا، وضمنت هيمنة واشنطن الاستراتيجية على القارة العجوز، حيث وفرت الولايات المتحدة ليس فقط التمويل الأكبر، بل أيضاً القيادة العسكرية والسياسية التي جعلت من الحلف درعاً منيعاً في وجه التوسع السوفييتي، ثم منصةً للتدخلات الدولية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي. لكن اليوم، وبينما يتجه العالم نحو نظام متعدد الأقطاب متزايد التعقيد، يقف هذا الصرح العريق على مفترق طرق، ليس بسبب هزيمة عسكرية، بل بسبب أزمة ثقة داخلية تهدد أساسه: تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب، التي لم تعد مجرد نقد عابر، بل تحولت إلى سيف مسلط على رقبة الحلف، تهدد بانسحاب أميركي قد يكون بمثابة الزلزال الذي يفكك المعادلة الأمنية الغربية برمتها.

لطالما تغذت العلاقة داخل الناتو على قدر من التوتر المزمن حول مسألة "تقاسم الأعباء"، لكن التصريحات التي أطلقها ترامب مؤخراً تجاوزت بكثير حدود الانتقادات التقليدية التي اعتادت واشنطن توجيهها لحلفائها الأوروبيين. فوصف الحلف بأنه "جبان" و"نمر من ورق" لم يكن مجرد استفزاز دبلوماسي، بل كان تعبيراً عن رؤية متكاملة تنظر إلى الحلف باعتباره عبئاً استراتيجياً على الولايات المتحدة، وليس ركيزة لقوتها. هذه النبرة ازدادت حدة على خلفية رفض الحلفاء الأوروبيين دعم عمليات عسكرية أميركية في مضيق هرمز، وهي منطقة حيوية للتجارة العالمية والنفوذ الإيراني. فمن منظور واشنطن، فإن هذا الرفض مثل تجسيداً عملياً لـ"الاستهانة" بالأمن الأميركي، بينما رأته العواصم الأوروبية تمسكاً باستقلالية قرارها السياسي وعدم رغبة في التورط بمواجهة مباشرة قد تؤدي إلى إشعال المنطقة. وعندما أعلن ترامب أنه "لن ينسى الخذلان"، لم يكن يتحدث كلغة رئيس دولة يطمح للحفاظ على تحالف عمره سبعة عقود، بل كان يتحدث كلغة رجل أعمال يطالب بحسم صفقة خاسرة. هذه العبارات، التي تبدو نابعة من شخصية الرئيس ذاته، تكشف عن تحول أعمق في المزاج السياسي الأميركي: تحول نحو "أميركا أولاً" التي لا ترى قيمة في التحالفات متعددة الأطراف إلا بالقدر الذي تخدم فيه المصالح الأميركية المباشرة.

إن الحديث عن انسحاب أميركي محتمل من الناتو لم يعد مجرد سيناريو هامشي في أروقة مراكز الأبحاث، بل أصبح احتمالاً واقعياً تدرسه العواصم الأوروبية بقلق بالغ. فما الذي يعنيه انسحاب واشنطن من الحلف عملياً؟ إنه يعني أكثر من مجرد فقدان الميزانية الأكبر (حيث تساهم الولايات المتحدة بحوالي 16 في المئة من الميزانية المباشرة للحلف، ناهيك عن التكلفة الهائلة للقوات الأميركية المنتشرة في أوروبا). إنه يعني انهيار مفهوم الردع ذاته. فالقوة العسكرية للناتو، بكل ترسانتها النووية والتقليدية، تستند في جوهرها إلى القدرات الأميركية الفائقة، من الطائرات دون طيار إلى أنظمة الدفاع الصاروخي، ومن الاستخبارات عبر الأقمار الاصطناعية إلى القيادة العملياتية التي لا تملك أوروبا بديلاً عنها في المدى المنظور. بدون الظل الأميركي، سيتحول الحلف إلى تحالف دفاعي تقليدي تفتقر قدراته العسكرية إلى العمق الاستراتيجي الذي يردع خصماً بحجم روسيا. والأكثر خطورة هو التأثير على التنسيق الاستخباراتي، حيث تشكل وكالة الأمن القومي الأميركية العمود الفقري للإنذار المبكر وتحليل التهديدات. هنا يطرح السؤال الأصعب: هل تستطيع أوروبا ملء هذا الفراغ؟ تمتلك الدول الأوروبية مجتمعة اقتصاداً يفوق الاقتصاد الروسي، وتضم جيوشاً حديثة، لكنها تعاني من غياب الإرادة السياسية الموحدة، وتفتقر إلى القدرة على اتخاذ قرارات عسكرية سريعة في غياب القيادة الأميركية. فالمشروع الأوروبي للدفاع المشترك ظل عقوداً مجرد طموح يصطدم بالخلافات الوطنية والميراث التاريخي للاعتماد على واشنطن. باختصار، أوروبا لم تتدرب بعد على العيش بدون شبكة الأمان الأميركية، وربما لن يكون لديها الوقت الكافي لتتدرب إذا ما تحول التهديد بالانسحاب إلى فعل مفاجئ.

إن الانعكاسات الجيوسياسية لمثل هذا السيناريو ستكون فورية ومدمرة للنظام العالمي القائم. ففي موسكو، يراقب الكرملين هذه التطورات باهتمام بالغ، فروسيا التي حاولت طوال عقدين إعادة رسم حدود نفوذها في أوروبا الشرقية، قد تجد في الانقسام الغربي فرصة ذهبية لتعزيز مواقفها في أوكرانيا، أو حتى لتوجيه اختبارات جديدة لعزم الحلف في دول البلطيق وبولندا. الرئيس بوتين، الذي راهن دائماً على أن التحالف الغربي ليس متماسكاً كما يبدو، قد يقرأ انسحاباً أميركياً كإشارة لبدء مرحلة جديدة من التوسع الروسي في الفضاءات الرمادية. أما الصين، فسترى في تفكك الناتو أو تحوله إلى تحالف رمزي بلا أسنان، انتصاراً استراتيجياً هائلاً، حيث يحررها من الضغط الغربي المتحد على المسرحين الأوروبي والأطلسي، ويتيح لها فراغاً جيوسياسياً يمكن استغلاله لتعزيز نفوذها الاقتصادي والعسكري في أوروبا الشرقية والوسطى، بعيداً عن رادع أميركي قوي. لكن الخوف الأكبر يظل حبيس دول أوروبا الشرقية، تلك الدول التي كانت خلف الستار الحديدي والتي تعتبر الناتو ليس مجرد تحالف عسكري، بل ضمانة وجودها كدول ذات سيادة. بالنسبة لبولندا ودول البلطيق، فإن الانسحاب الأميركي يعني العودة إلى المنطقة الرمادية التي ابتلعت سيادتها طوال عقود. هذا القلق قد يؤدي إلى سباق تسلح إقليمي غير محسوب، أو حتى إلى إعادة تموضع بعض هذه الدول باتجاه تحالفات بديلة غير تقليدية، مما يفكك وحدة الجبهة الغربية بالكامل.

في هذه الحالة، قد لا يعلن الناتو حله رسمياً، لكنه سيتحول فعلياً إلى مجرد منتدى سياسي بلا قوة تنفيذية، أشبه بعصبة الأمم بعد أن فقدت أسنانها، وهو سيناريو يمثل كابوساً للدبلوماسية الغربية منذ نهاية الحرب الباردة.

لكن يبقى السؤال الأعمق: هل سيتعلم الحلف من هذه اللحظة الحرجة، أم أن اختبار ترامب سيكون بداية النهاية؟ التاريخ يخبرنا أن التحالفات العسكرية لا تموت فجأة، بل تموت عندما تفقد الثقة في مصداقية وعدها الأساسي. لقد واجه الناتو أزمات من قبل، من الخلاف حول حرب العراق إلى أزمة الميزانيات عقب أزمة اليورو، لكنه في كل مرة كان يتمكن من إعادة ابتكار نفسه. لكن ما يميز الأزمة الراهنة أنها ليست مجرد خلاف حول سياسة معينة، بل هي أزمة ثقة في الدور الأميركي ذاته كحام موثوق. فإذا كان الرئيس الأميركي يهدد علناً بالانسحاب بسبب خلاف حول مضيق هرمز، فكيف يمكن لدولة مثل إستونيا أن تثق بأن الولايات المتحدة ستلتزم بالمادة الخامسة إذا ما تعرضت لهجوم روسي غداً؟ هذه الأسئلة تفتح بابا لم يكن الحلف مضطراً إلى فتحه من قبل: إمكانية البحث عن صيغة جديدة للناتو، تكون فيها القيادة الأوروبية أكثر حزماً، والاعتماد على واشنطن أقل مطلقية. ربما تكون المأساة التي يهدد بها ترامب هي ذاتها الكارثة التي قد تجبر أوروبا على النضوج الاستراتيجي الذي طال انتظاره، فتنشئ قيادة عسكرية أوروبية حقيقية، وتضاعف إنفاقها الدفاعي ليس فقط لاسترضاء واشنطن، بل لضمان أمنها الذاتي في عالم أصبحت فيه التحالفات رخوة.

في الختام، يقف حلف الناتو اليوم أمام لحظة الحقيقة بامتياز. ترامب يهدد بتفكيك أعظم تحالف عسكري في التاريخ، ليس بقوة السلاح، بل بقوة الكلمات وسياسات الصفقات. الخيار أمام الحلفاء الأوروبيين لم يعد محصوراً بين دفع المزيد من المال أو تحمل غضب واشنطن، بل أصبح بين تحمل مسؤولية أمنهم كبالغين في نظام دولي فوضوي، أو الانتظار حتى يتحقق الانسحاب الأميركي ليجدوا أنفسهم عراة في مواجهة عودة التاريخ بعنف. أما الولايات المتحدة، فستكتشف حتماً أن انسحابها من الناتو لن يوفر عليها عناء العالم، بل سيجعلها تواجه خصومها من دون الحلفاء الذين ضاعفوا من قوتها لعقود. لحظة الحقيقة هذه قد تكون قاسية، لكنها ربما تكون الفرصة الأخيرة لإعادة بناء التحالف على أسس أكثر توازناً وواقعية، أو قد تكون الشهادة التي تثبت أن حتى أعظم التحالفات لا تصمد أمام اختبار ضعف الإرادة وانشغال الحلفاء بأنفسهم. وما يحدث اليوم في مضيق هرمز ليس سوى مقدمة لصراع أكبر حول شكل النظام العالمي في العقود القادمة. السؤال الذي ينتظر إجابة حاسمة هو: هل سينجو الناتو من اختبار ترامب، أم أن لحظة الحقيقة التي طالما تأجلت قد حانت فعلاً؟

المرونة في الطاقة... تُبنى قبل الأزمات

مايا حجيج
إعلامية لبنانية
وأستاذة جامعية

خلال ثلاثة أسابيع فقط، قفز النفط أكثر من 20 دولارًا للبرميل، واهتزت منظومة الطاقة العالمية عند أضيق نقطة فيها: مضيق هرمز، الذي يمر عبره نحو 20 في المئة من إمدادات النفط العالمية وثلث تجارة الغاز الطبيعي المسال، شكل انقطاعًا للتنفس في قلب نظام الطاقة العالمي.

قفز خام برنت من أقل من 90 دولارًا إلى أكثر من 110 دولارات، وقدرت مؤسسات مالية كبرى مثل سيتي غروب وغولدمان ساكس أن استمرار التعطل في مضيق هرمز قد يدفع الأسعار إلى نطاق يتراوح بين 140 و160 دولارًا للبرميل. وبحسب تصريحات وكالة الطاقة الدولية، أكثر من 40 أصلًا من أصول الطاقة في 9 دول بالشرق الأوسط تضررت، ويُعادل هذا الاضطراب صدمتي السبعينات وأزمة الغاز عام 2022 مجتمعتين.

هذه هي الصدمة، ولا يمكن اختزالها في خلل عابر بين العرض والطلب أو في ارتفاع حاد في الأسعار، فهي أزمة مركّبة يتقاطع فيها الوضع الجيوسياسي، والبنى التحتية، وإعادة تسعير المخاطر في الأسواق العالمية. لكن وسط هذه الاضطرابات الحادة، ثمّة ما يستحق أن نتوقف عنده وهو: ما لم يحدث.

بفضل التفكير الاستشرافي تدخل دول الخليج هذه المرحلة مسلحة بأدوات اقتصادية وبنيوية تعزز قدرتها على إدارة الصدمة لتتمكن من استيعابها والتعافي منها بسلاسة لتستمر كما فعلت دوما

لم يتوقف التصدير بشكل كامل، لم تنهر أنظمة الطاقة المحلية، ولم تتحوّل تقلبات الأسعار إلى صدمة مالية فورية بالحجم الذي كانت لتحدثه في مراحل سابقة. "غياب الانهيار" لم يكن صدفة أو حظًا، بل هو نتاج مسار طويل من العمل بدأ قبل الأزمة بسنوات.

ما يُبنى في فترات الاستقرار... يظهر خلال الأزمات. قبل أن تصبح الطاقات الاحتياطية، والمسارات البديلة، والتحول إلى مزيج طاقة أكثر تنوعًا، موضوع نقاش يومي على خلفية التوترات الحالية، كانت هذه العناصر تُشاد في فترات الاستقرار. المرونة اليوم لا تقف عند حدود زيادة الإنتاج، فقد أُعيد تصميم البنية التحتية لتوفير بدائل تشغيلية.

في السعودية، يُوفر خط أنابيب الشرق – الغرب قدرة نقل تتجاوز 5 ملايين برميل يوميًا إلى ينبع على البحر الأحمر، وفي الإمارات، يقدم ميناء الفجيرة طاقة تخزين وتصدير تتجاوز 1.5 مليون برميل يوميًا خارج المضيق. هذه المشاريع، وغيرها، حوّلت نقطة ازدحام واحدة إلى شبكة مسارات متعددة.

في الوقت نفسه، وسّعت دول الخليج مفهوم أمن الطاقة ليشمل التحول في مزيج الكهرباء. فعلى سبيل المثال، في الإمارات، مجمع محمد بن راشد للطاقة الشمسية يستهدف قدرة تصل إلى 5 غيغاواط، فيما تنتج محطة براكة النووية نحو 25 في المئة من كهرباء الدولة. وفي السعودية، تدعم مشاريع سكاكا ودومة الجندل الشبكة بقدرات متجددة، ضمن خطة للوصول إلى 50 في المئة من الطاقة النظيفة بحلول 2030. أما في قطر، فيضيف مشروع الخرسعة للطاقة الشمسية قدرة 800 ميغاواط إلى الشبكة الوطنية. وبذلك، بلغ إجمالي القدرة المتجددة المرتبطة بالشبكات في دول الخليج نحو 19.3 غيغاواط بحلول منتصف 2025، مع أكثر من 40 غيغاواط إضافية قيد التطوير.

تقف شركات رائدة مثل "مصدر" في الإمارات و"أكوا" في السعودية خلف الكثير من هذه المشاريع، في نموذج يجمع بين التخطيط الحكومي والتنفيذ المتخصص. صحيح أن هذه الأرقام كثيرة، ولكنها جزء صغير في استراتيجية متكاملة، وهذا هو السياق الذي يجعل قراءة ما يحدث اليوم مختلفة جوهريًا.

حقق هذا التنويع في مصادر ومشاريع الطاقة مكاسب مزدوجة؛ قلل التنويع الاقتصادي انتقال الصدمات النفطية إلى المالية العامة، وخلق تنويع البنية التحتية مرونة تشغيلية حقيقية، والتحول في مزيج الطاقة أضاف بعدًا جديدًا للاستقرار، مع توسع الطاقة الشمسية وطاقة الرياح كمصادر منخفضة الكلفة.

هذا التحول جاء من قناعة راسخة لدى صانعي القرار في المنطقة، وفي لقائي الخاص مع الأمين العام لمنظمة أوبك هيثم الغيص في فيينا قبل أشهر من الأزمة، كان واضحًا أن أمن الطاقة ليس مجرد بند في جدول الأعمال، بل هو الأساس الذي يعود إليه كل شيء. ومهما بلغت الاستثمارات في النفط والغاز، رغم أهميتها، ومهما توسعت مشاريع الطاقة المتجددة، رغم أهميتها أيضًا، فإن النقطة التي يلتقي عندها الجميع هي ضرورة الحفاظ على استقرار الإمدادات والأسواق، وهو ما تعمل عليه أوبك وأوبك+، وهذا ما تصر عليه دول الخليج في سياساتها المستقبلية.

هي رؤية تحولت، على مدى سنوات، إلى سياسات ملموسة؛ طاقات إنتاجية احتياطية يمكن تفعيلها خلال فترة قصيرة والاستمرار بها لشهور، ومسارات بديلة، واستثمارات موازية في الشبكات والطاقة النظيفة.

النقطة التي يلتقي عندها الجميع هي ضرورة الحفاظ على استقرار الإمدادات والأسواق وهو ما تعمل عليه أوبك وأوبك+ وهذا ما تصر عليه دول الخليج في سياساتها المستقبلية

هذا لا يعني أن المنطقة محصنة ضد الأزمات، فالأسعار مرتفعة، والمخاطر قائمة، وسلاسل الإمداد ترزح تحت ضغوط جسيمة. وبكل تأكيد، فإن استمرار الاضطراب يرفع الكلفة ويؤخر عودة الأصول المتضررة. لكن نقطة الانطلاق مختلفة؛ فبفضل التفكير الاستشرافي، تدخل دول الخليج هذه المرحلة مُسلحةً بأدوات اقتصادية وبنيوية تعزز قدرتها على إدارة الصدمة لتتمكن من استيعابها والتعافي منها بسلاسة، وإعادة التوازن لتستمر كما فعلت دومًا.

في سبعينات القرن الماضي، دعا الرئيس الأميركي جيرالد فورد إلى ترشيد استهلاك الطاقة لمواجهة الأزمة، واليوم حول العالم، تتخذ دول مختلفة خطوات لترشيد الاستهلاك: من خفض ساعات العمل في المراكز التجارية في مصر إلى تقليص أيام العمل الأسبوعي إلى أربعة في الفلبين، ثم تايلاند، التي تنصح باستخدام السلالم بدل المصعد... وإلى حين نشر هذا المقال سيكون هناك المزيد من الخطوات غيرها حول العالم.

أما تجربة دول الخليج اليوم، فتمثل مسارًا مختلفًا تمامًا، هنا لم يُنتظر حتى تضيق الخيارات؛ هنا بُنيت الخيارات قبل الحاجة إليها: مسارات بديلة للنفط، وشبكات طاقة متجددة، واحتياطيات إنتاجية، واستثمارات في البنى التحتية... ربما أصبحت تتصدر العناوين في أوقات الأزمات، لكنها كانت حتمًا تُشيد في فترات الهدوء خلف الكواليس.

في عالم تتزايد فيه حدة المخاطر الجيوسياسية، تُقاس القوة الحقيقية بما يُعد فوق الأرض قبل أن تهب العاصفة، ولا تقاس بحجم ما يختزن في باطنها. القوة أن تبقى الأنظمة مستقرة حين يُختبر الاستقرار.

ما يُبنى في فترات الاستقرار... يظهر خلال الأزمات

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

سقوط «ماذا لو؟».. والإمارات كسبت الرهان

بديع يونس
كاتب لبناني

"الإمارات بخير وستخرج بشكل أقوى". بهذه الكلمات طمأن رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ محمد بن زايد، أهل البلاد من مواطنين ومقيمين. لكنّ كلمات "الطمأنة" تلك ليست محاولة تهدئة كلامية فقط، بل مرآة لحقيقة يعيشها الفرد في الدولة يوميًا، رغم الجنون الإيراني العدائي الذي يصطدم بغلاف جوي رادع وثقافة حياة راسخة في نفوس أبناء البلاد كافة. أضف إلى ذلك التجربة التراكمية لأحداث هزت العالم فعلاً لا قولًا، وخرجت منها الإمارات أقوى بالإثبات والأدلة.

فاجأت الإمارات المواطنين والمقيمين والجوار والإقليم والعالم بقدراتها العسكرية ونظام الردع الذي لم تفاخر به

في 2008، حين ضربت الأزمة المالية العالمية، كان التركيز على دبي، فجاء التدخّل السيادي المباشر والسريع، مع إعادة هيكلة مُنظمة للديون، بالتوازي مع ضبط الإنفاق وتعزيز الشفافية المالية وإعادة ترتيب أولويات المشاريع. بفضل الإدارة الرشيدة للأزمة تم تفادي الانهيار المالي عبر إعادة تموضع سريعة، وبحلول 2011 عاد النمو التدريجي واستعادت دبي ثقة الأسواق العالمية.

في 2020، مع جائحة كورونا، كان التحدي مختلفًا بالكامل. لم تكن أزمة قطاع واحد، بل شللا عالميا شاملا ضرب الطيران والسياحة والتجارة وسلاسل الإمداد. لكنّ تعامل الإمارات مع هذه الأزمة وإدارتها كان فريدًا على مستوى العالم: استجابة صحية سريعة ومنظمة عبر مراكز فحص ضخمة خلال أسابيع، واعتماد تقنيات تتبع وعزل مبكر، وصولاً إلى واحدة من أعلى نسب الفحص للفرد عالميًا، تلتها حملة تطعيم مبكرة وواسعة.

اقتصاديًا، واكبت الإمارات الظرف بإطلاق المصرف المركزي برنامج دعم (TESS) بقيمة تجاوزت 100 مليار درهم (حوالي 27 مليار دولار)، شمل تسهيلات ائتمانية للبنوك، وتأجيل سداد القروض، ودعمًا للسيولة في السوق، كما أطلقت الحكومات المحلية (خصوصًا دبي وأبوظبي) حزماً إضافية لدعم الشركات والقطاعات الأكثر تضررًا.

بعدها، أعادت الإمارات فتح الاقتصاد تدريجيًا، واستأنف الطيران الدولي مبكرًا عبر "طيران الإمارات"، قبل أن تستضيف دبي لاحقا "إكسبو 2020 دبي"، كإشارة إلى استعادة النشاط. وكانت النتيجة واضحة بالأرقام: انكماش محدود في 2020 مقارنة بالاقتصاد العالمي، ثم تعاف سريع، مع نمو يقارب 7 في المئة عام 2022 وفق البنك الدولي.

في عام 2024، مع الفيضانات غير المسبوقة، عاد السؤال نفسه ليُطرح: هل هذه البنية قادرة على التحمل؟ وخلال أيام عادت الحركة، وعاد المطار إلى العمل، واستعادت البلاد إيقاعها.

في كل مرة، كان السؤال واحدًا بصيغة مختلفة: ماذا لو؟ ماذا لو انهارت الثقة؟ ماذا لو توقف الاقتصاد؟ ماذا لو لم تتحمل البنية الضغط؟

وبعد إجابة الإمارات على كل الأسئلة وخروجها من هذه الامتحانات الصعبة بنتيجة "ممتاز"، بقيت "ماذا لو واحدة"، وهي: ماذا لو حصلت حرب؟ ستنهار هذه البلاد في دقائق. لكنّ الجواب صدم الأعداء كما الحاسدين.

فاليوم، التحدي لم يعد ماليًا أو صحيًا أو مناخيًا فقط، بل أمنيًا. وكما هو معلوم، فإنّ الاقتصاد والازدهار والسياحة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن.

فاجأت الإمارات المواطنين والمقيمين والجوار والإقليم والعالم بقدراتها العسكرية ونظام الردع الذي لم تفاخر به أو تكشف عنه يومًا. فجأة تبيّن أنّ الغلاف الجوي للدولة "حديدي" ومحمي من أقوى الضربات وأعنفها (أغلب الصواريخ البالستية والطائرات المسيرة كانت موجهة صوب الإمارات و95 في المئة منها أُسقطت). استثمرت لسنوات مع شركات مثل "لوكهيد مارتن" و"رايثيون"، وأنظمة دفاع مثل THAAD و3–Patriot PAC وأربع أنظمة أخرى، والتي أثبتت فاعليتها في اعتراض تهديدات فعلية.

والأهمّ من كل ذلك ليس السلاح، بل المشهد اليومي: رحلات "طيران الإمارات" مستمرة، وشركة "الاتحاد للطيران" تعمل كالمعتاد، الأسواق مفتوحة، والمدينة لا تعيش منطق الحرب. وهذا ليس تفصيلًا.

فأي حرب، في جوهرها، تحاول كسر الإحساس الطبيعي بالحياة، وما حدث هنا هو نقيض ذلك تمامًا: فالحياة مستمرة وأقوى من الحدث نفسه.

لسنوات، كان السؤال يُطرح دائمًا بصيغة "ماذا لو؟"، ولم يُستخدم للتحليل، بل كأداة تشكيك. فوصل السؤال إلى أقصاه، واختُبر على أعلى مستوى، ولم تجب عليه الإمارات نظريًا، بل عمليًا. ما يحدث الآن ليس مجرد عبور أزمة، بل إقفال نهائي لفرضية "ماذا لو".

ماذا عن اليوم التالي؟

بعد كل الأزمات التي تخطتها الإمارات، كان اليوم التالي أفضل. ارتبط ذلك بتحلّي الحكومة والمسؤولين بدورة قيادية وإدارة رشيدة في كل الأزمنة والأزمات. حتى الأرقام تعطي صورة أوضح.

ثقة كبيرة في الإمارات

فقد استقطبت الإمارات العربية المتحدة ما يقارب 30 مليار دولار استثمارا أجنبيا مباشرا في عام 2023، لتبقى ضمن أفضل 15 دولة عالميًا وضمن المراكز الأولى إقليميًا (وفق تقديرات الأونكتاد وتقارير استثمار دولية حديثة). فيما حافظت دبي على موقعها كـ"المدينة الأولى عالميًا في جذب مشاريع الاستثمار الأجنبي المباشر الجديدة (Greenfield FDI)" في 2023 و2024 وفق بيانات "فايننشال تايمز".

في عام 2024 تجاوز عدد مشاريع الاستثمار الأجنبي في دبي الـ1000 مشروع سنويًا، مع نمو في قطاعات التكنولوجيا والخدمات المالية واللوجستيات.

في بيئة إقليمية أكثر اضطرابًا من السابق، لم تتراجع هذه الأرقام، بل تقدّمت. فرأس المال لا يبحث اليوم فقط عن عائد مرتفع، بل عن مكان يثق بأنّ اليوم التالي لأي أزمة سيكون أفضل من سابقاته.

بعد تجربة الاعتداء العسكري وسقوطه في الجو، تتضح صورة المرحلة المقبلة:

● تعزيز موقع الإمارات كمركز مالي عالمي، خصوصًا مع تدفق شركات إدارة الأصول، وصناديق الاستثمار، والشركات التكنولوجية التي تبحث عن بيئة آمنة ومستقرة في منطقة غير مستقرة.

● ترسيخ الثقل اللوجستي والتجاري، مع استمرار دور موانئ مثل "موانئ دبي العالمية"، ومطارات دبي وأبوظبي كمحاور رئيسية تربط آسيا وأوروبا وأفريقيا.

● تصاعد دور الإمارات كنقطة تشغيل إقليمية آمنة، حيث تنقل شركات متعددة الجنسيات عملياتها أو جزءًا منها إلى دبي وأبوظبي لضمان الاستمرارية التشغيلية.

في الخلاصة، كانت الإمارات تُصنّف كبيئة جاذبة للاستثمار، لكنها اليوم باتت بيئة يمكن الاعتماد عليها كملاذ آمن في منطقة تغلي وتشتعل وتنفجر بين الحين والآخر.

إسرائيل الكبرى: وهم سياسي وانعكاسات جيوستراتيجية

محمد حسن الساعدي
كاتب عراقي

مشروع "إسرائيل الكبرى" عاد إلى الواجهة بعد تصريحات مثيرة للجدل لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الذي قال في مقابلة إنه "مرتبط عاطفيًا وروحانيًا برؤية إسرائيل الكبرى"، وهو ما اعتبره مراقبون تجسيدًا واضحًا للأطماع التوسعية التي طالما حملتها الحركة الصهيونية منذ نشأتها. هذه التصريحات أثارت موجة من الغضب في العالم العربي، حيث أدانتها دول مثل الأردن وقطر، فيما وصف الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي جاسم البديوي كلام نتنياهو بأنه "انتهاك صارخ للقانون الدولي واعتداء على سيادة الدول ووحدة أراضيها".

المشروع الذي يتجاوز فلسطين التاريخية ليشمل أراضي من الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق، لا يُنظر إليه كفكرة دينية فقط، بل كخطة استراتيجية تهدف إلى فرض الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة عبر السيطرة على الموارد الطبيعية والممرات الحيوية. محللون سياسيون عرب يرون أن هذه التصريحات تكشف عن نوايا إسرائيلية طويلة الأمد لتفكيك البنية الجغرافية والسياسية للعالم العربي، وأنها تمثل تهديدًا مباشرًا للأمن القومي العربي.

في المقابل، يرى بعض المراقبين أن إعلان نتنياهو العلني عن ارتباطه بهذا المشروع يعكس تصاعد نفوذ التيارات الدينية المتطرفة داخل إسرائيل، ويؤكد أن التوسع ليس مجرد حلم بل سياسة عملية يجري تنفيذها تدريجيًا عبر الاستيطان والاحتلال العسكري. هذا ما دفع محللين مثل الدكتور حسن نافعة إلى القول إن "مشروع إسرائيل الكبرى ليس مجرد شعار، بل خطة تستهدف إعادة رسم خرائط المنطقة بما يخدم مصالح الاحتلال ويقوض أي إمكانية لقيام دولة فلسطينية مستقلة".

الغضب الشعبي العربي ظهر بوضوح على منصات التواصل الاجتماعي، حيث عبّر كثيرون عن رفضهم لما وصفوه بـ"الحلم التوسعي" الذي يهدد وجودهم، مطالبين بموقف عربي موحد يضع حدًا لهذه الأطماع. في ظل هذه التطورات، يبدو أن مشروع "إسرائيل الكبرى" لم يعد مجرد فكرة في كتب التاريخ، بل أصبح تحديا سياسيا واقتصاديا وأمنيا حاضرا، يستدعي من الدول العربية إعادة ترتيب أولوياتها لمواجهة خطر يهدد حاضرها ومستقبلها.

إن أحلام إسرائيل في مشروع "إسرائيل الكبرى" لا تقتصر على البعد التاريخي أو الديني، بل تحمل انعكاسات خطيرة على مستقبل المنطقة بأكملها، وهذا المشروع إذا ما حاولت إسرائيل فرضه عمليًا، سيؤدي إلى تغييرات جذرية في موازين القوى الإقليمية ويضع الأمن العربي أمام تحديات غير مسبوقة. فتوسع إسرائيل على حساب الأراضي الفلسطينية أو حتى التفكير في ضم أجزاء من دول مجاورة يعني عمليًا القضاء على أي أفق لحل الدولتين، وهو ما يفتح الباب أمام صراع طويل الأمد قد يمتد لأجيال.

انعكاسات هذه الطموحات على الأمن العربي واضحة، إذ ستدفع الدول العربية إلى إعادة النظر في استراتيجياتها الدفاعية والسياسية، وربما إلى تعزيز التحالفات الإقليمية لمواجهة التوسع الإسرائيلي. كما أن استمرار الاستيطان والضم سيزيد من حدة المقاومة الفلسطينية، ما يعني تصاعد المواجهات المسلحة وعدم الاستقرار في المنطقة. أما على المستوى الدولي، فإن مشروع "إسرائيل الكبرى" سيضع القوى الكبرى أمام اختبار صعب، فإما القبول بواقع جديد يفرضه الاحتلال، أو الدخول في مواجهة دبلوماسية وسياسية لحماية القانون الدولي وحقوق الشعوب.

أما اقتصاديًا، فإن أي توسع إسرائيلي سيؤثر على مشاريع التعاون الإقليمي، مثل خطوط الطاقة والممرات التجارية، ويعطل فرص التنمية المشتركة. كما أن هذه الطموحات قد تدفع بعض الدول إلى الاقتراب أكثر من قوى دولية منافسة للولايات المتحدة، مثل الصين وروسيا، بحثًا عن توازن جديد يحد من النفوذ الإسرائيلي المدعوم أميركيًا.

يمكن القول إن "إسرائيل الكبرى" ليست مجرد حلم أيديولوجي، بل مشروع يحمل في طياته تهديدًا شاملاً للأمن العربي والعلاقات الدولية، ويجعل المنطقة أكثر عرضة للتوترات والصراعات المفتوحة.

ترامب ونتنياهو لن يكتفيا بالحرب على إيران، إذ إن إضعاف إيران ليس إلا بداية لمشروع "إسرائيل الكبرى" ضد المنطقة بأسرها.

ترامب ونتنياهو لن يكتفيا بالحرب على إيران

حتى أنت يا بروتس... حتى أنت يا مارس؟

أسماء ربيع المنهالي
كاتبة إماراتية

تأمّل في حضور هذا الشهر، مارس، عند مفترقات التحوّل في تاريخ العالم...

منذ ما يقارب الأسبوعين، وفي قاعة انتظار المستشفى، استوقفتني صورة قناع طبي تعلوها كلمة واحدة: "كوفيد – 19".

لحظة عابرة... لكنها أعادتني إلى تاريخ لم يغادر ذاكرة العالم بعد.

وتحديدًا في 11 مارس، أدركت أننا أصبحنا على بُعد أربع سنوات فقط من اكتمال عقد كامل منذ اللحظة التي أعلنت فيها منظمة الصحة العالمية، في 11 مارس 2020، جائحة كوفيد – 19 (COVID – 19) المرض الذي اجتاح العالم وغيّر إيقاع الحياة في المعمورة كلها.

في شهر مارس اندلعت حروب وفيه بدأت أزمات حتى ليبدو هذا الشهر من دون قصد منه وكأنه يقف أحيانا عند عتبات التحوّل في حياة البشر

يومها دخل العالم مرحلة غير مسبوقة من الإغلاق العالمي والاضطراب الصحي والاقتصادي الذي امتدت آثاره إلى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية؛ مرحلة أعادت تشكيل أبسط تفاصيل الحياة اليومية، وطرحت أسئلة عميقة حول هشاشة العالم وترابطه في آنٍ واحد.

وقد ظنّ كثيرون آنذاك أن تلك اللحظة قد تقود إلى موجة طويلة من الانهيارات الاقتصادية في العالم. غير أن التجربة أثبتت أن قدرة الدول على التعافي لم تكن متساوية؛ فقد كانت الإمارات من بين الأسرع في استعادة عافيتها الاقتصادية والعودة إلى مسار النمو. ولعل ما يختصر هذه الروح المطمئنة والدروس الملهمة في القيادة هو تلك العبارة التي قالها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة: "لا تشيلون هم".

واليوم تشير توقعات عام 2026 إلى نمو الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي للدولة بنسبة تقارب 5.3 في المئة، مدفوعًا بقوة القطاعات غير النفطية. وحتى مع التوترات الإقليمية التي شهدها مارس 2026، حافظ الاقتصاد على أدائه، مستندًا إلى تنوع قاعدته الاقتصادية وصلابة مؤسساته.

وها نحن في مارس 2026، ومع الأحداث المتسارعة التي يشهدها العالم هذه الأيام، وجدتني أتوقف عند هذا التاريخ وأسأل نفسي: ماذا يحدث؟ ولماذا يعود شهر مارس مرارًا ليقف عند مفترقات حاسمة في مسار العالم؟

وعندما عدتُ بذاكرتي إلى بعض محطات العالم القريبة، بدت المصادفات الزمنية لافتة. ففي مارس اندلعت حروب، وفيه بدأت أزمات؛ حتى ليبدو هذا الشهر، من دون قصدٍ منه، وكأنه يقف أحيانًا عند عتبات التحوّل في حياة البشر.

لا يعني هذا أن الأشهر تصنع التاريخ، ولا أن مارس يحمل حتمية للأزمات أو أنه بابٌ للتفاؤل أو التشاؤم؛ بل هي مجرد ملاحظة لافتة حين ننظر إلى بعض اللحظات المفصلية في التاريخ. وربما تكون محض مصادفة زمنية، لكن تكرار بعض التحولات الكبرى في هذا الشهر يثير سؤالًا بسيطًا: كيف يمكن لشهرٍ واحد أن يتكرر حضوره في لحظاتٍ مفصلية من ذاكرة العالم؟

لنعد بالتاريخ إلى ما يقارب ألفي عام إلى الوراء، إلى واحدة من أشهر وقائع الاغتيال السياسي في التاريخ. ففي 15 مارس من عام 44 قبل الميلاد، وهو اليوم الذي كان يُعرف في التقويم الروماني بـ"Ides of March"، اغتيل يوليوس قيصر داخل مجلس الشيوخ الروماني، في حادثة غيّرت مسار روما وخلّدها التاريخ بعبارة ما زالت تتردد حتى اليوم: "حتى أنت يا بروتوس؟".

ولعل المفارقة أن اسم هذا الشهر يعود في أصله إلى الكلمة اللاتينية Martius، نسبةً إلى الإله الروماني مارس، إله الحرب. وكان مارس في التقويم الروماني القديم بداية السنة، إذ تبدأ فيه الحملات العسكرية بعد انتهاء الشتاء.

وعند التأمل في هذا التزامن بين الاسم والتاريخ، قد يخطر سؤال طريف في الذهن، مستعيرًا صدى العبارة القديمة نفسها: حتى أنت يا مارس؟

قد لا يصنع شهرٌ بعينه مجرى التاريخ، لكن بعض الأشهر تبقى أكثر حضورًا في الذاكرة من غيرها. وربما لهذا يبدو مارس أحيانًا كأنه يقف عند عتبات التحوّل في التاريخ؛ شهرٌ لا يغيّر العالم وحده، لكنه كثيرًا ما يظهر حين يطوي الزمن صفحةً قديمة... ويبدأ أخرى.

على أي حال... مع السلامة يا مارس.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

السياسة الثقافية في الوطن العربي: تمكين أم تدجين؟

بين حرية الإبداع وضغط السلطة.. يتوه المواطن العربي

الرقابة وسياسة التدجين

السياسة الثقافية في الوطن العربي تشكل ساحة صراع بين التمكين والتدجين. فهي تؤثر في تشكيل الهوية، وتحدد علاقة الفرد بالسلطة والمجتمع. وبينما تهدف نظريًا إلى دعم الإبداع وحرية التعبير، فإنها غالبًا ما تتحول إلى أداة ضبط وإقصاء. إن مستقبل الثقافة يعتمد على إرادة سياسية حقيقية واستقلال المؤسسات وحرية الفكر.

د. عصام البرّام
شاعر وكاتب عراقي

تُعدّ السياسة الثقافية إحدى أكثر السياسات العمومية حساسية وتعقيدًا في أي مجتمع، لأنها تمسّ جوهر الوعي الجمعي، وتؤثر في تشكيل الهوية، وتحدد علاقة الفرد بالسلطة وبالمجال العام. وفي الوطن العربي، تكتسب هذه السياسة بعدًا أكثر إشكالية، نظرًا إلى تاريخ طويل من التداخل بين الثقافة والسلطة، وبين الإبداع والرقابة، وبين التنوير والتوظيف الأيديولوجي.

من هنا يبرز السؤال الجوهري: هل تهدف السياسة الثقافية العربية إلى تمكين الإنسان والمجتمع، أم أنها أداة لتدجين الوعي وضبط المجال الرمزي؟

سياسة التدجين

من حيث المبدأ، يُفترض أن تقوم السياسة الثقافية على دعم الإبداع الحر، وصيانة التنوع الثقافي، وتمكين المثقف والفنان من التعبير عن قضايا مجتمعه دون خوف أو إقصاء. فالثقافة ليست ترفًا ولا زينة خطابية، بل هي شرط أساسي للتنمية الشاملة، لأنها تصنع المعنى، وتؤسس للقدرة على النقد، وتفتح آفاق الخيال الاجتماعي. غير أن الواقع العربي يكشف عن فجوة عميقة بين هذا التصور النظري وبين الممارسة الفعلية، حيث غالبًا ما تُدار الثقافة بعقلية أمنية أو دعائية، لا بعقلية تنموية أو إنسانية.

> التمكين الثقافي لا يعني الفوضى والقطيعة مع الثوابت، بل يعني إتاحة المجال لتعدد القراءات والاعتراف بحق الاختلاف

لقد ارتبطت نشأة المؤسسات الثقافية الرسمية في كثير من الدول العربية بمشاريع الدولة الوطنية بعد الاستقلال، وكان من المفترض أن تكون هذه المؤسسات حاضنة للنهضة الفكرية والفنية. إلا أن مسار تطورها سرعان ما خضع لمنطق السلطة المركزية، فتحولت الثقافة في حالات كثيرة إلى ذراع ناعمة للشرعية السياسية، تُستخدم لإنتاج خطاب موحد، وتلميع الصورة الرسمية، وإقصاء الأصوات الناقدة أو المختلفة. وبهذا المعنى، لم تعد السياسة الثقافية معنية بتمكين المجتمع، بقدر ما أصبحت معنية بإدارة المجال الثقافي والتحكم فيه.

يتجلى هذا التدجين في أشكال متعددة، منها الرقابة الصريحة على الكتب والأعمال الفنية، أو الرقابة غير المعلنة عبر آليات التمويل والاحتواء. فالدعم الثقافي في كثير من السياقات العربية مشروط بالانسجام مع الخطاب الرسمي أو بعدم تجاوز الخطوط الحمراء، وهي خطوط غالبًا ما تكون فضفاضة، ما يدفع المبدع إلى ممارسة رقابة ذاتية قاسية. وبدل أن تكون الدولة راعية للتعدد والاختلاف، تصبح حَكَمًا أخلاقيًا وسياسيًا يحدد ما يجوز وما لا يجوز في مجال الفكر والفن.

ولا يقتصر الأمر على الرقابة، بل يمتد إلى نمط الإنتاج الثقافي ذاته. إذ تُفضَّل الفعاليات الاحتفالية والمهرجانات الشكلية على حساب المشاريع الثقافية العميقة والمستدامة، ويُحتفى بالكم على حساب النوع، وبالصورة الإعلامية على حساب الأثر المعرفي. وهكذا تتحول الثقافة إلى حدث عابر، منفصل عن هموم المجتمع وأسئلته الحقيقية، وتفقد قدرتها على الإسهام في بناء وعي نقدي أو في تحفيز الحوار المجتمعي.

في المقابل، لا يمكن إنكار وجود تجارب عربية تحاول، بدرجات متفاوتة، كسر هذا النمط، والسعي نحو سياسة ثقافية أكثر انفتاحًا وتمكينًا. فبعض المبادرات المستقلة، وبعض المؤسسات الثقافية التي تتمتع بهامش من الاستقلال، نجحت في خلق فضاءات بديلة للنقاش والإبداع، وطرحت أسئلة جريئة حول الهوية، والحرية، والعدالة، والذاكرة. غير أن هذه التجارب غالبًا ما تبقى هشة، لأنها تعمل في بيئات قانونية وسياسية غير داعمة، وتعاني من ضعف التمويل، أو من التضييق غير المباشر.

إن جوهر الإشكال في السياسة الثقافية العربية يكمن في النظرة إلى الثقافة ذاتها. فحين تُعامل الثقافة بوصفها خطرًا محتملًا يجب احتواؤه، أو أداة تزيينية تُستخدم عند الحاجة، فإن نتيجتها الحتمية ستكون التدجين. أما حين تُفهم الثقافة باعتبارها حقًا أصيلًا للمجتمع، ومجالًا للحوار الحر، ومصدرًا للقوة الناعمة الحقيقية، فإن التمكين يصبح خيارًا واقعيًا لا شعارًا نظريًا.

والتمكين الثقافي لا يعني الفوضى ولا القطيعة مع الثوابت، بل يعني إتاحة المجال لتعدد القراءات والتأويلات، والاعتراف بحق الاختلاف، واحترام ذكاء الجمهور. كما يعني الاستثمار في التعليم الثقافي، وفي المكتبات، وفي الترجمة، وفي الفنون الجادة، بدل الاكتفاء بالخطابات العامة والأنشطة الموسمية. فالسياسة الثقافية المُمكِّنة هي تلك التي تراهن على الإنسان، لا تلك التي تخشاه. في ظل التحولات الرقمية المتسارعة، باتت السيطرة الكاملة على المجال الثقافي أكثر صعوبة، إذ وفّرت المنصات الجديدة فضاءات بديلة للتعبير والتفاعل، وكشفت محدودية السياسات التقليدية القائمة على المنع والإقصاء. غير أن هذا الانفتاح الرقمي لا يعوّض غياب سياسة ثقافية رسمية رشيدة، بل قد يزيد الفجوة بين الدولة والمجتمع إذا استمر التعاطي مع الثقافة بمنطق الريبة لا الشراكة.

الثقافة هي المرآة

إن السؤال المطروح اليوم ليس ما إذا كانت السياسة الثقافية العربية تُدجّن أو تُمكّن فحسب، بل كيف يمكن الانتقال من واقع التدجين إلى أفق التمكين. وهذا الانتقال يتطلب إرادة سياسية حقيقية، وإصلاحًا تشريعيًا يضمن حرية التعبير، واستقلال المؤسسات الثقافية، وإشراك المثقفين والفاعلين الثقافيين في صنع القرار، بدل التعامل معهم كموظفين أو مروّجين.

في المحصلة، تبقى الثقافة مرآة صادقة لعلاقة السلطة بالمجتمع. فإذا كانت هذه العلاقة قائمة على الثقة والاحترام المتبادل، انعكس ذلك تمكينًا وإبداعًا وتنوعًا. أما إذا كانت قائمة على الخوف والوصاية، فلن تنتج إلا ثقافة مُدجّنة، مهما بدا بريقها الخارجي.

ومن هنا، فإن مستقبل الثقافة في الوطن العربي مرهون بالاختيار بين هذين المسارين، وهو اختيار لا يخص النخب وحدها، بل يخص المجتمع بأسره، لأنه يتعلق بحقه في التفكير، والحلم، وصناعة المعنى، ولأنها لا تتعامل مع البنى المادية فقط، بل مع الوعي والخيال والقيم وأنماط التفكير. فهي التي ترسم الإطار الذي تتحرك داخله الفنون والآداب ووسائل التعبير، وتحدد سقف الحرية الممنوحة للمبدعين، كما تعكس في جوهرها طبيعة العلاقة بين السلطة والمجتمع.

وفي الوطن العربي، حيث لا تزال الدولة تلعب الدور المركزي في إدارة المجال العام، تصبح السياسة الثقافية مرآة دقيقة لمدى الإيمان بالإنسان بوصفه فاعلًا حرًا، أو النظر إليه باعتباره موضوعًا يجب ضبطه وتوجيهه. ومن هنا يبرز السؤال الإشكالي: هل تتجه السياسة الثقافية العربية نحو تمكين المجتمع، أم أنها لا تزال أسيرة منطق التدجين؟

نظريًا، تقوم السياسة الثقافية الرشيدة على جملة من المبادئ، في مقدمتها حماية حرية التعبير، ودعم الإبداع المستقل، وضمان وصول الثقافة إلى مختلف الفئات الاجتماعية، وتعزيز التنوع بوصفه مصدر ثراء لا تهديد. فالثقافة، بهذا المعنى، ليست مجرد إنتاج فني أو نشاط ترفيهي، بل هي فضاء لتكوين المواطن النقدي، القادر على مساءلة الواقع وتخيل بدائل أفضل. غير أن هذا التصور يصطدم، في السياق العربي، بإرث طويل من الشك في الثقافة والمثقفين، واعتبار الكلمة الحرة خطرًا محتملًا على الاستقرار السياسي أو الاجتماعي.

> جوهر الإشكال في السياسة الثقافية العربية يكمن في النظرة إلى الثقافة ذاتها إذ تُعامل بوصفها خطرا يجب احتواؤه

يتجلى هذا التوجه التدجيني في طبيعة المؤسسات الثقافية الرسمية، التي غالبًا ما تعمل وفق منطق بيروقراطي محافظ، يفتقر إلى الرؤية النقدية بعيدة المدى. فبدل أن تكون هذه المؤسسات فضاءات حاضنة للتجريب والمغامرة الفكرية، تتحول إلى أجهزة تنظيم للفعاليات البروتوكولية، وإعادة إنتاج الخطاب السائد بصيغ جمالية محدودة التأثير. كما يُلاحظ أن اختيار القيادات الثقافية في كثير من الأحيان يخضع لمعايير الولاء والانسجام، أكثر مما يخضع للكفاءة والرؤية الثقافية، ما ينعكس مباشرة على مضمون السياسات والبرامج.

ولا يمكن الحديث عن التدجين الثقافي دون التوقف عند مسألة الرقابة، بوصفها إحدى أكثر الأدوات وضوحًا في ضبط المجال الثقافي. فالرقابة في السياق العربي لا تقتصر على المنع المباشر، بل تتخذ أشكالًا أكثر تعقيدًا ونعومة، مثل التضييق الإداري، أو الحرمان من الدعم، أو الإقصاء من الفضاءات الرسمية. وهذا النوع من الرقابة غير المعلنة يدفع كثيرًا من المثقفين والفنانين إلى ممارسة رقابة ذاتية صارمة، خوفًا من العواقب، ما يؤدي في النهاية إلى إفراغ الإنتاج الثقافي من جرأته وأسئلته العميقة.

إلى جانب ذلك، تعاني السياسة الثقافية العربية من نزعة استعراضية، تُفرغ الثقافة من بعدها المجتمعي. إذ يُلاحظ التركيز المفرط على المهرجانات والاحتفاليات الكبرى، التي تُنفق عليها ميزانيات ضخمة، دون أن يكون لها أثر مستدام في تنمية الذائقة العامة أو دعم البنية التحتية الثقافية. وفي المقابل، تعاني المكتبات العامة، ودور النشر الجادة، ومشاريع الترجمة، والمسارح المستقلة، من ضعف التمويل وقلة الاهتمام، رغم أنها تشكل العمود الفقري لأي نهضة ثقافية حقيقية.

ألينا كوفالتشوك.. مجندة أسيرة تكتشف حقيقتها في غزة

علي إبراهيم الدليمي
كاتب عراقي

بغداد - تستمد رواية "الأسيرة" للكاتب والفنان التشكيلي الفلسطيني د. عاطف سلامة، ثقلها الدرامي من واقع مأساة غزة الأخيرة، حيث صاغ المؤلف أحداثها مستلهما إياها من معايشته اليومية وتواجده في قلب الحدث، لتقديم شهادة أدبية وإنسانية تمزج بين الواقع والخيال الروائي.

رواية "الأسيرة" عمل أدبي رصين ينجح في تحويل "الخبر العاجل" إلى رؤية فلسفية، مستخدماً لغة رشيقة تتدفق بين العامية الفلسطينية الحميمة والفصحى السردية المتزنة، ليرسم لوحة معقدة لواقع لا يقبل القسمة على اثنين. وقد اتسمت بكثرة الحوارات، ورسم دقيق للأماكن والشخصيات.

كما أن الرواية تعد انعكاسا حيا للمأساة التي تعيشها غزة، حيث لم يكتفِ سلامة بالمشاهدة، بل نقل نبض الشارع وتفاصيل المعاناة بلغة رمزية من موقعه داخل القطاع، ليقدم للقارئ العربي نصا روائيا يوثق لحظة فارقة في التاريخ الفلسطيني المعاصر.

نقرأ في الرواية كيف لم يكن فجر السابع من أكتوبر عادياً على بوابة الكيبوتس، فبينما كانت المجندة الإسرائيلية (ذات الأصل الروسي) ألينا كوفالتشوك ترقب الأفق عبر منظارها الحراري، اخترق صرير الحديد الممزق وسحب الغبار سكون المكان.

لم تستفق ألينا من هول الانفجارات إلا وهي تُسحب من سترة عسكرتها بيد شاب فلسطيني ملثم، لتجد نفسها فوق "عربة كارو" يجرها حمار أعرج، مخترقة شوارع غزة المشتعلة.

في رحلة العبور من "بيت حانون" إلى أزقة حي "الزيتون"، لم تكن ألينا مجرد أسيرة عسكرية، بل كانت شاهدة على ذهول طفل فلسطيني يرمقها بدهشة، وزغاريد نساء غزة التي اختلطت بدموع الفقد.

بين يدي يحيى المقاتل الهادئ، وسلمى المرأة التي تحمل مرارة الفقد، بدأت قصة ألينا تأخذ منحى آخر، فلم يعد الخوف من الموت هو المحرك، بل التساؤل الوجودي: هل هي جندية تحمي وطنا، أم مجرد جزء من ماكنة قتل في أرض لا تملك فيها جذورا؟

ينجح سلامة في تقديم نص سردي مكثف يتجاوز التوثيق الميداني للأحداث السياسية، ليغوص في تعقيدات "الأنسنة" والصراع الهوياتي في مناخات الحرب الوجودية.

وتنتقل الرواية ببراعة من الأسر المادي (ألينا المقيدة في غرفة خرسانية تحت الأرض) إلى الأسر المعنوي الذي تعيشه الشخصيات كافة. ألينا تكتشف أنها كانت أسيرة لوهم "الانتماء" إلى دولة كذبت عليها بشأن جذورها اليهودية لتستخدمها كحطب في محرقة الحرب. وفي المقابل، نجد يحيى وسلمى أسيرين لواقع الحصار والموت اليومي، لكنهما يتمسكان بـ"الكرامة" كملاذ أخير.

الشخصيات مثلث الصراع والمواجهة: فألينا تمثل الشخصية القلقة، المهاجرة الروسية التي تعيش اغتراباً مزدوجاً؛ فهي "غريبة" في إسرائيل لعدم نقاء دمها اليهودي، و"عدوة" في غزة بسبب بزة عسكرتها. اعترافها بأنها "ليست يهودية" يمثل ذروة التحول الدرامي وسقوط الأقنعة.

أما يحيى فيظهر كنموذج للمقاتل المثقف الذي لا يبحث عن الانتقام الفطري، بل يسعى لمواجهة "الآخر" بالحقيقة، حواره مع ألينا: "بدها تعرف إذا نحنا وحوش.. وإلا بشر" يعكس وعيا عميقا ببعد الصراع الأخلاقي.

وسلمى تمثل صوت الأرض المكلومة، توازن بين مشاعر الحقد المبرر (بسبب فقد زوجها) وبين الالتزام الأخلاقي بـ"الحفاظ على الأسيرة" كقيمة إنسانية وورقة سياسية.

> «الأسيرة» ليست مجرد قصة اختطاف، بل هي محاكمة سردية لمفهوم «الصهيونية» من الداخل، وإعادة تعريف للصمود الفلسطيني

استخدم الكاتب رموزا بصرية قوية، فـ"عربة الكارو" التي نقلت ألينا مقابل "المنظار الحراري" والأسلحة المتطورة، تبرز الفجوة بين القوة المادية المفرطة وقوة الحق المباشر. كما أن "الغرفة الإسمنتية" بلا نوافذ ترمز لضيق الخيارات في عالم يتجه نحو الانفجار.

تنتهي الرواية بوضوح رؤية مؤلمة: "الناجي مش بس اللي عاش.. الناجي هو اللي حكايته رح تظل".

"الأسيرة" ليست مجرد قصة اختطاف، بل هي محاكمة سردية لمفهوم "الصهيونية" من الداخل، وإعادة تعريف للصمود الفلسطيني الذي يرى في الحفاظ على "إنسانية العدو" قمة انتصاره الأخلاقي.

وتنتهي الرواية في مشهدها الختامي، برؤية استشرافية تفتح آفاقا مستقبلية خالدة تقول "ليس كل فصل أخير يعني النهاية، أحيانا... هو بداية أن يُروى ما لم يُكتب بعد".

وجدير بالذكر أن رواية "الأسيرة" قد صدرت مؤخرا عن دار "اسكرايب" للنشر والتوزيع بالقاهرة، وتقع في 124 صفحة من القطع المتوسط.

إعادة اكتشاف الذات (لوحة للفنان سامر الخلايلة)

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

«أتروبيا».. سخرية سينمائية تفكك عبث الحرب الأميركية في العراق

فيلم جريء يمزج الكوميديا السوداء بالنقد السياسي كاشفا تناقضات التمثيل العسكري

يقدّم فيلم "أتروبيا" معالجة سينمائية مختلفة لحرب العراق، عبر سخرية لاذعة تكشف زيف المحاكاة العسكرية داخل الولايات المتحدة. ومن خلال قصة تمزج بين الكوميديا والدراما، يطرح العمل أسئلة عميقة حول الهوية، والتمثيل، ودور الإعلام، وحدود الأخلاق في تحويل الحروب إلى مادة ترفيهية قابلة لإعادة الإنتاج.

علي المسعود
كاتب عراقي

لم يخلُ تاريخ حرب العراق من المحاكاة الساخرة والتهكمية والسخرية الصريحة. فمنذ بدايتها، مثّلت مصدرًا خصبًا للكوميديا، حيث تناولتها برامج حوارية مسائية، وعروض اسكتشات، ورسوم متحركة، وأفلام روائية، مثل "فريق أميركا: شرطة العالم" و"نائب الرئيس" لآدم مكاي. ورغم ذلك، لطالما شعرنا بنقص في الأفلام، وخاصةً الإنتاجات الأميركية، التي تتناول الحرب بروح دعابة لا تجعل الضحايا مادةً للسخرية. وهذا هو الفراغ الذي يملأه فيلم "أتروبيا" (2025)، الفائز بجائزة لجنة التحكيم الكبرى في مهرجان صندانس السينمائي الأميركي لهذا العام.

قدّم فيلم "أتروبيا"، وهو أول تجربة إخراجية لعارضة الأزياء والممثلة والصحفية السابقة في مجلة فايس هايلي بنتون غيتس، رؤيةً مختلفةً تمامًا عن فيلم "حرب" الذي صدر هذا العام والذي لا يقلّ روعةً عنه ولكنه أكثر واقعيةً وقسوةً. إنها رؤيةٌ تبدو غريبةً إلى درجة أنها لا يمكن أن تكون إلا حقيقية. فبدلاً من أن تدور أحداث الفيلم في الخارج، تُركّز غيتس على ميادين التدريب الواقعية المُتقنة التي بُنيت في الولايات المتحدة لمحاكاة المدن العراقية.

«أتروبيا» ضربة مباشرة لجوهر الفكر العسكري الحديث بجمالية خام وسرد يمزج بين الخيال العسكري والعبثية السياسية

شملت هذه المحاكاة ممثلين يؤدون أدوار مدنيين ومتمردين، لكلٍّ منهم قصته في الخلفية المُفصّلة، إنّ الطابع السريالي لهذه الأماكن يجعلها مادةً خصبة للسخرية، وقد استغلّت غيتس ذلك ببراعة، فصنعت فيلمًا يجمع بين الفكاهة الغريبة والواقعية المؤلمة.

الفيلم يجمع بين الفكاهة الغريبة والواقعية المؤلمة

في أول فيلم إخراجي روائي لها المعروف أيضا باسم "الصندوق"، تحاول هايلي غيتس بناء قرية عراقية بهدف تدريب الجنود الأميركيين ويطلق عليها اسم "أتروبيا". وتتبع نهجا ساخرا، إذ تنتقد تصميمها الهزلي بتوظيف أشخاص عراقيين لتدريب الجنود على غزو منازلهم ومعرفة طباعهم. ويتتبع الفيلم روتين الجنود والممثلين المدنيين والقادة الكبار المشاركين في حرب ليست حقيقية حتى يبدأ الأمر في الظهور بشكل المهزلة العسكرية.

السخرية المؤلمة

في مشهد افتتاحي مقتبس من بدايات العديد من أعمال دراما الحرب في عهد بوش، تلتقط الصخب والفوضى في تقاطع في الشرق الأوسط بينما يقوم الجنود الأميركيون بدوريات بحثا عن المقاتلين. ثم يظهر المقاتلون ويصرخون "الموت لأميركا"، ويزرعون المفخخات والعبوات الناسفة على سيارة تنفجر وترسل أجزاء من الجثث المقطوعة في الهواء الكثيف المغبر. إنها حادثة مؤلمة حتى يصدر مكبر صوت "اقطع"، مما يسمح للجميع بترك الشخصية والشكوى لفريق الألعاب النارية عن الحمار المزيف الذي لم تنفجر قنبلة الديناميت الموضوعة فيه.

في المشهد الافتتاحي المثير، المليء بالإشارات الساخرة إلى أفلام الحرب الأميركية، تجسد فيروز دور امرأة عراقية تشهد مرور القوات الأميركية عبر قريتها لمطاردة مشتبه به، بالتزامن مع انفجار عبوة ناسفة. تعلو الصرخات ويتدفق الدم، وتتناثر الأطراف المبتورة في الهواء، عندما تفشل عبوة ناسفة ثانية في الانفجار، يكتشف المشاهد أنه في موقع تصوير، وأن المجزرة التي جرت أمام عينيه لم تكن سوى مشهد تمثيلي رديء، يجمع كل الصور النمطية المبتذلة لأفلام الحرب الأميركية.

في قلب هذه المهزلة (سواء في الفيلم أو المدينة) توجد فيروز (علياء شوكت). تأمل في استخدام أتروبيا كنقطة انطلاق لمسيرة فنية متأخرة، ولهذا تأخذ أدوارها كـ"كيميائية غاز الخردل" أو "صانعة الخبز" على محمل الجد أكثر من اللازم. بين التحضيرات، تنصح ممثلين آخرين – بعضهم عراقيون وبعضهم مكسيكيون – حول "الحاجة للدخول في قصصهم الخلفية"، وأحيانا تبالغ قليلا عندما يكون كشافو هوليوود يراقبون.

تتعطل هذه النظرة بوصول أبو دايس (كالوم تورنر)، وهو جندي بين مهمات الانتشار يتمركز في أتروبيا ليلعب دور متمرد عراقي. يبدو في البداية تهديدا لسيطرتها، لديه معرفة حقيقية بهذه المدن ويسأل فيروز عن قراراتها واختياراتها في التمثيل. لكن في النهاية يقعان في حب بعضهما البعض، ويرفضان الالتزام بالقواعد ويعقدان الأمور على المسؤولين الحكوميين الأميركيين المشرفين على هذا المشروع، ويقرران الهروب من الصندوق.

الفيلم غريب، يروي كيف تعمل فيروز، الممثلة الطموحة المصممة على تحقيق انطلاقتها الكبيرة في هوليوود، في هذا الميدان التدريبي، رغم مشاعرها المتضاربة تجاه حرب العراق. على الرغم من اتهام والديها لها بخيانة ثقافتها وبلدها لرفضهما تدريبها للجنود على غزو بلادهم، إلا أن ميدان التدريب هو المكان الوحيد الذي يفتح لممثلين من نوعها (وهو أمر ليس مفاجئا في هوليوود في تلك الحقبة).

يجسد الفيلم، من خلال أداء شوكت المؤثر والفكاهي، الفجوة الحقيقية التي يعاني منها العديد من أبناء المهاجرين. وهي الفتاة التي تحلم بأن تصبح ممثلة في فيلم تدور أحداثه في قاعدة عسكرية أميركية تقع في صحراء بين كاليفورنيا ونيفادا وتحاكي منطقة حرب عراقية، حتى يتعلم الجنود كيف يتصرفون قبل الذهاب إلى التضاريس الحقيقية للمعركة.

"أتروبيا" ليس مجرد فيلم، إنه ضربة مباشرة لجوهر الفكر العسكري الحديث. بجمالية خام وسرد يمزج بين الخيال العسكري والعبثية السياسية، يقدم الفيلم تجربة سينمائية مسلية ومزعجة في آن واحد، حيث يتقمص الممثلون أدوار قرويين في دول تخطط أميركا لغزوها. في فيلمها الأول تغوص الكاتبة والمخرجة هايلي غيتس في ثقافة حقبة بوش، ثقافة الذكورية السامة والقومية وكراهية الإسلام، بأسلوب ساخر ومضحك في آنٍ واحد.

سخرية سياسية حادة

"أتروبيا 2025" سخرية مثيرة من الحرب هزت مهرجان صندانس 2025 بأسلوبها الجريء ورسالتها السياسية اللاذعة. المخرجة تكشف كيف يمكن أن يصبح التدريب العسكري عرضا استعراضيا، وكيف أصبح العنف الرمزي أمرا طبيعيا، وكيف تخلق البيروقراطية العسكرية حقائق موازية.

هناك إشارات إلى صراعات حقيقية، وصناعة الأسلحة، والتلاعب الإعلامي بالحقائق. وأفضل ما في القصة هو سرد كيف تنشأ الرومانسية بين أشخاص مختلفين على ما يبدو. وكيف يغيّر العاشقان الحبكة متى شاءا ليكونا معا. على سبيل المثال، تغير الدور إلى ممثلة أخرى لتكون العروس العراقية في حفل زفاف ينتهي بقتل الجيش الأميركي لجميع الضيوف. تقدم هذه القصة الحقيقة لتصور قسوة وعنف تلك الحرب، مع صور أرشيفية للوحشية التي حدثت في العراق.

تجربة سينمائية مسلية ومزعجة في آن واحد

تلعب المخرجة بشكل عفوي مع العلاقة المتوترة بين الحرب الحقيقية والحرب المصورة كطريق للمضي قدما. لكنها لا تعرف أبدا إلى أين تذهب أو إلى أي مدى يجب أن تذهب أو ما الذي يجب أن تفعله أو لا يجب أن تفعله، ويبدو أن ممثليها غير متأكدين أيضا، خاصة الممثلة علياء شوكت التي تكافح لإيجاد التوازن الصحيح بين الكوميديا والسخرية.

عالم "أتروبيا" مثير للاستكشاف. ويستند في بعض منه إلى أحداث حقيقية مثلا يعيد استخدام اقتباس لدونالد رامسفيلد. يتجاوز الفيلم الأساليب السريالية ويدخل عالم الواقعية الفائقة. يستخدم الشخصية فيروز العراقية كرمز لبلد تصبح فيه محاكاة الصراع الطريقة السائدة لفهم وتجربة العالم من حولهم. إنها شكل من أشكال الانفصال عن الفوضى التي تسمح للحرب بأن توجد في صندوق نفسي مريح يسهل تقسيمه.

السينما أصبحت أكثر استمرارا في اقتراب هذه الحرب، التي تركت آلاف القتلى وأزمة عدم الثقة داخل وخارج الولايات المتحدة الأميركية. رأينا ذلك في الفيلم الوثائقي المؤثر لمايكل مور "فهرنهايت 11 سبتمبر"، الذي فاز به بجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان، ومع عودة رئيس مثل ترامب إلى السلطة، ومع استمرار الحرب في أوكرانيا، وسوريا التي تعاني من الاهتزازات مجددا، ومع وقف إطلاق النار الأخير في غزة، والحرب الأخيرة على إيران، يبرز الفيلم كتحريض ضد الحرب والغزوات العسكرية، والعواقب الجيوسياسة لتلك الصراعات المسلحة.

العمل يربط بين حرب العراق وسياقات معاصرة، ليطرح سؤالا حول العواقب الجيوسياسية للصراعات، وتأثيرها على مستقبل الإنسانية

يمزج فيلم غيتس بين أنواع مختلفة للحديث عن جيل الحروب، وكيف تؤثر الحرب على مستقبل الإنسانية. تحدثت المخرجة عند استلام الجائزة في مهرجان صندانس السينمائي قائلة "هذا الفيلم غريب جدا، لم أكن أظن أن أحدا سيهتم بكوميديا رومانسية تدور أحداثها في مجمع صناعي عسكري، لكن أعتقد أنكم تحبون الضحك على الإمبراطورية الأميركية الهشة أيضا".

الأسلوب البصري والإخراج

تم تصوير الفيلم بأسلوب يجمع بين الجماليات الوثائقية والتحرير الفوضوي، مستخدمًا كاميرات محمولة ومرشحات حرارية وشاشات منقسمة لمحاكاة المراقبة المستمرة. ويزخر بلحظات كوميدية ناجحة: جنود يتعاملون مع الحرب كمسرحية، وممثلون محاصرون في هويات لا تخصهم.

لكن، رغم قوة الفكرة، لا تتطور بالكامل، إذ يتنقل الفيلم بين السخرية والرومانسية والكوميديا العبثية دون حسم، ما يخفف من حدة رسالته.

استندت غيتس إلى بحث دام أربع سنوات حول قواعد تدريب عسكرية في الولايات المتحدة. وكانت تنوي في البداية تقديم فيلم وثائقي، قبل أن تختار الشكل الروائي. كما ينتقد الفيلم تغطية الإعلام للحرب، ويشير إلى غياب الرواية الموضوعية.

ويربط العمل بين حرب العراق وسياقات معاصرة، ليطرح سؤالًا حول العواقب الجيوسياسية للصراعات، وتأثيرها على مستقبل الإنسانية.

تكمن قوة "أتروبيا" في رفضه الحياد أو التجميل. لا يقدّم شخصياته كأدوات للسخرية فقط، بل كمرآة لتجارب إنسانية معقدة. يقرّ بتعقيدات الحرب، ويطرح سؤالًا مفتوحًا: لماذا خضنا هذه الحروب... وما الذي ما زلنا نفعله حتى اليوم؟

السخرية والرومانسية والكوميديا العبثية

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

الحرف الفلسطينية إرث حي في سوريا

التطريز لغة بصرية نابضة بالرموز، توثق الارتباط بالأرض

تجسد الصناعات التراثية الفلسطينية في سوريا إرثًا حيًا يعكس تمسك الفلسطينيين بهويتهم عبر الأجيال، حيث يشكل التطريز والأزياء والمشغولات اليدوية لغة بصرية تحفظ الذاكرة الوطنية وتوثق الانتماء إلى الأرض. وتعد هذه الحرف أكثر من مجرد أعمال فنية، إذ تحمل رموزًا تاريخية وثقافية تعزز الارتباط بالجذور، وتساهم في صون التراث من الاندثار، مع الحفاظ على حضوره المتجدد في الوجدان الفلسطيني والعربي.

دمشق - تعكس الصناعات التراثية الفلسطينية في سوريا حالة فريدة من التمسك بالهوية والانتماء، حيث نجح الفلسطينيون، رغم ظروف اللجوء والاغتراب، في الحفاظ على إرثهم الثقافي ونقله عبر الأجيال. ولم تقتصر هذه الصناعات على كونها ممارسات حرفية تقليدية، بل تحولت إلى وسيلة مقاومة ثقافية تحفظ الذاكرة الجماعية، وتؤكد الحضور الفلسطيني في مختلف المجتمعات التي استقر فيها الفلسطينيون، وعلى رأسها المجتمع السوري.

> تبرز الحرف التقليدية الفلسطينية كوسيلة مقاومة ثقافية، تحفظ الهوية وتؤكد استمرار الذاكرة رغم تحديات الزمن

وتتنوع هذه الصناعات بين التطريز اليدوي، والأزياء التقليدية، والمشغولات النحاسية، والإكسسوارات التراثية، والأعمال الفنية التي تحمل رموزًا وطنية، حيث تشكل مجتمعة منظومة ثقافية متكاملة تعبر عن تاريخ طويل من الإبداع والارتباط بالأرض. ويُعد التطريز الفلسطيني أحد أبرز هذه المظاهر، لما يحمله من رمزية عميقة، إذ لا يقتصر على كونه زخرفة جمالية، بل يمثل لغة بصرية تعكس هوية المناطق الفلسطينية المختلفة، من خلال نقوشه وألوانه التي تحمل دلالات جغرافية واجتماعية.

في هذا السياق يوضح الحرفي هاني الركوعي، وهو صاحب محل للقطع التراثية الفلسطينية في دمشق، أن هذه الصناعات تشهد اهتمامًا متزايدًا، سواء من الفلسطينيين أنفسهم أو من السوريين، لما تحمله من قيمة فنية وثقافية. ويشير إلى أن عمله يركز بشكل خاص على المشغولات النحاسية، التي تمتاز بقدرتها على الصمود عبر الزمن، إلى جانب كونها تحمل طابعًا تراثيًا أصيلًا يعكس مهارة الحرفيين ودقة أعمالهم.

ويؤكد الركوعي أن كل قطعة ينتجها ليست مجرد منتج للزينة أو الاستخدام، بل تمثل أيضا جزءًا من الذاكرة الفلسطينية، حيث يتم استلهام الزخارف من الطبيعة والبيئة الفلسطينية، مثل أشكال النباتات والأشجار، إضافة إلى الرموز الهندسية التي تعبر عن الاستمرارية والتجذر. أما الأثواب المطرزة فهي بمثابة وثائق تاريخية حية، إذ يمكن من خلال نقوشها التعرف على المنطقة التي تنتمي إليها، وهو ما يمنحها بعدًا توثيقيًا يتجاوز الجانب الجمالي.

ولا يقتصر دور هذه الصناعات على الحرفيين فقط، بل يمتد أيضا إلى المجتمع ككل، حيث ترى رندة بشير، وهي إحدى المهتمات بالتراث، أن اقتناء القطع التراثية أو ارتداء الأزياء الفلسطينية يمثلان فعلًا واعيًا بأهمية الحفاظ على الهوية، خاصة في ظل محاولات طمسها أو نسبها إلى جهات أخرى. وتؤكد أن الأجيال الجديدة تتحمل مسؤولية كبيرة في نقل هذا التراث، ليس فقط عبر الاستخدام، بل أيضا من خلال تعلم الحرف التقليدية وإعادة إحيائها بأساليب عصرية تضمن استمرارها.

كما تلعب هذه الصناعات دورًا اقتصاديًا مهمًا، إذ توفر مصدر دخل للعديد من الأسر الفلسطينية في سوريا، خاصة في ظل الظروف المعيشية الصعبة. فالحرف اليدوية، رغم بساطتها، أصبحت وسيلة لتعزيز الاستقلال الاقتصادي، وتمكين النساء بشكل خاص، حيث تشارك الكثير منهن في إنتاج التطريز والأعمال اليدوية من المنازل، ما يسهم في دعم الأسرة والحفاظ على التراث في آن واحد.

من جانبه يشير الصحافي الفلسطيني والمهتم بالتراث عمار حربجي إلى أن تمسك الفلسطينيين في سوريا بتراثهم لا ينفصل عن شعورهم بالحنين إلى الوطن، إذ يشكل هذا التراث الرابط الأهم الذي يحافظ على الهوية في ظل البعد الجغرافي. ويؤكد أن هذه الصناعات تمثل امتدادًا لذاكرة الأجداد، وأن حضورها لم يعد مقتصرًا على المجتمع الفلسطيني، وإنما انتشر في المجتمع السوري، بل وصل إلى دول عربية وغربية، حيث بات التطريز الفلسطيني يحظى بتقدير عالمي.

ويضيف حربجي أن هذا الانتشار ساهم في تعريف العالم بالثقافة الفلسطينية، وجعلها حاضرة في المحافل الدولية، خاصة بعد إدراج التطريز الفلسطيني على قائمة التراث الثقافي غير المادي، وهو ما يعزز الجهود الرامية إلى حمايته من الاندثار أو التزييف. كما أن هذا الاعتراف الدولي يمنح الحرفيين دافعًا أكبر للاستمرار في إنتاج هذه الأعمال، وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر، دون التفريط في أصالتها.

وعلى مر العقود شكلت الصناعات التراثية الفلسطينية في سوريا إحدى أهم أدوات الحفاظ على الهوية الوطنية، حيث استطاع الفلسطينيون من خلالها أن يخلقوا مساحة ثقافية خاصة بهم، تعكس تاريخهم ومعاناتهم وطموحاتهم. ولم تكن هذه الصناعات مجرد بقايا من الماضي، بل تحولت إلى عنصر حي ومتجدد، يتكيف مع الواقع ويواكب التغيرات، مع الحفاظ على جوهره الأصيل.

كما أن التفاعل بين الفلسطينيين والسوريين أسهم في تعزيز هذه الصناعات، حيث وجد التراث الفلسطيني بيئة حاضنة في سوريا، ساعدت على استمراره وتطوره. فالتقارب الثقافي بين الشعبين، والتشابه في بعض العادات والتقاليد، ساهما في خلق حالة من التبادل الثقافي، انعكست إيجابًا على الحرف التقليدية.

وفي ظل التحديات التي تواجه هذه الصناعات، مثل تراجع الاهتمام بالحرف اليدوية وارتفاع تكاليف المواد الأولية، تبقى الحاجة ملحة لدعمها من خلال المبادرات الثقافية والمؤسساتية، وتوفير منصات لتسويقها محليًا ودوليًا. كما أن إدماجها في البرامج التعليمية والتدريبية يمكن أن يسهم في نقلها إلى الأجيال الجديدة، وضمان استمراريتها.

في المحصلة، تمثل الصناعات التراثية الفلسطينية في سوريا أكثر من مجرد نشاط اقتصادي أو فني، فهي تعبير حي عن الهوية والانتماء، وجسر يربط الماضي بالحاضر، ووسيلة للحفاظ على الذاكرة في وجه التحديات. ومن خلال هذا الإرث المتجدد يواصل الفلسطينيون تأكيد حضورهم الثقافي، وإبقاء تراثهم حيًا في وجدانهم ووجدان العالم.

انتماء متجذر

عنوان هوية

وادي الساقية الحمراء: رئة خضراء في صحراء المغرب

العيون (المغرب) - يُعد وادي الساقية الحمراء واحدا من أبرز الأنظمة البيئية الرطبة ذات الأهمية الإيكولوجية الكبرى في جنوب المغرب، حيث يشكل استثناءً طبيعيًا فريدًا وسط المجال الصحراوي القاحل. فهذا المجرى المائي المتقطع، الذي يشق طريقه عبر مساحات شاسعة من الصحراء قبل أن يصب في المحيط الأطلسي، يتحول إلى واحة حقيقية للحياة، تؤوي تنوعًا بيولوجيًا غنيًا يجعل منه نقطة التقاء بين الماء والصحراء، وبين الحياة القاسية والازدهار البيئي.

وتكمن أهمية هذا الوادي في كونه نظامًا بيئيًا هشًا لكنه حيوي، يساهم في الحفاظ على التوازنات الطبيعية في منطقة تتسم بندرة الموارد المائية. وقد عزز تصنيفه ضمن لائحة اتفاقية "رامسار" في أبريل 2019 مكانته الدولية كموقع رطب ذي أهمية عالمية، خاصة في ما يتعلق بحماية الطيور المائية وصون التنوع البيولوجي الصحراوي، إضافة إلى دوره في دعم الاستقرار البيئي المحلي وتنظيم الموارد الطبيعية.

ويتموقع وادي الساقية الحمراء على أحد أهم المسارات العالمية لهجرة الطيور، وهو "المسار الغربي" الرابط بين أوروبا وأفريقيا جنوب الصحراء. هذا الموقع الاستراتيجي يجعله محطة أساسية لآلاف الطيور المهاجرة التي تتوقف فيه سنويًا للراحة والتغذية والتكاثر. ومع تغير الفصول، يتحول الوادي إلى فضاء نابض بالحياة، يعج بالحركة والأصوات والألوان، في مشهد طبيعي استثنائي داخل بيئة صحراوية قاسية.

ويستقبل هذا النظام البيئي أكثر من 25 نوعًا من الطيور المائية بشكل منتظم، من أصل قدرة استيعابية تقارب 60 نوعًا. ومن بين الأنواع التي تجد في الوادي موطنًا ملائمًا، طائر النحام الوردي، والبط أبو ذيل، والبط أبو مغرفة، والبط الغطاس، إضافة إلى الحَذَف الرخامي، المصنف عالميًا ضمن الأنواع المهددة بالانقراض. هذه الثروة الطيرية تجعل من الوادي مختبرًا طبيعيًا حيًا لدراسة سلوك الطيور وأنماط هجرتها وتكاثرها.

وتُظهر دراسات ميدانية حديثة أن عدة أنواع من الطيور المائية لم تعد تكتفي بالمرور عبر الوادي، بل أصبحت تتخذه فضاءً للتعشيش والتكاثر، وهو ما يعزز مكانته كمحمية طبيعية على مدار السنة، وليس فقط كمحطة موسمية. ويعكس هذا التحول مدى قدرة النظام البيئي المحلي على التكيف مع التغيرات المناخية والضغط البيئي المتزايد.

وفي هذا السياق، أوضح أشرف بطي، رئيس مصلحة التنشيط والشراكة بالمديرية الجهوية للوكالة الوطنية للمياه والغابات بجهة العيون – الساقية الحمراء، أن جزءًا مهمًا من الوادي تم إدراجه ضمن اتفاقية رامسار على مساحة تقارب 9500 هكتار، تغطي الجزء السفلي من المجرى. ويمتد هذا المجال من مصب الوادي على مستوى جماعة فم الواد، مرورًا بمدينة العيون، وصولًا إلى المناطق العليا بجماعة الدشيرة، حيث تتجاور الطبيعة المائية مع كثبان رملية شاسعة تضفي على المشهد البيئي جمالًا فريدًا.

ويتميز هذا المجال البيئي بغطاء نباتي متكيف مع الظروف الصحراوية القاسية، حيث تنتشر نباتات قادرة على مقاومة الجفاف والملوحة، ما يشكل أساسًا لاستقرار العديد من الكائنات الحية. كما يشكل هذا التنوع النباتي دعامة رئيسية لاستمرار التوازن البيئي، إذ يوفر الغذاء والمأوى للطيور والحيوانات الصغيرة التي تعتمد على هذا النظام الرطب الهش.

وأشار المسؤول ذاته إلى أن المديرية الجهوية للوكالة الوطنية للمياه والغابات تعمل على تثمين هذا الفضاء من خلال تطوير السياحة الإيكولوجية، مع الحرص على تحقيق التوازن بين الاستغلال السياحي وحماية الموارد الطبيعية. ويتم ذلك عبر شراكات مع الفاعلين المحليين ومكونات المجتمع المدني، بهدف ضمان تدبير مستدام يراعي حساسية هذا النظام البيئي الفريد.

> يشكل الوادي محطة رئيسية للطيور المهاجرة بين أوروبا وأفريقيا، حيث تجد الغذاء والراحة خلال رحلاتها الموسمية الطويلة

ومن زاوية علمية، أكد الباحث في علم الطيور التطبيقي حميد الركيبي الإدريسي أن الموقع الجغرافي لوادي الساقية الحمراء يمنحه قيمة بحثية عالية، خاصة في ما يتعلق بدراسة تكيف الطيور المائية مع البيئات القاسية. كما يتيح هذا المجال العلمي فرصة لفهم الديناميات الموسمية لتواجد الطيور في المناطق الرطبة الصحراوية، وهو ما يجعل منه موقعًا استراتيجيًا للبحث البيئي على المستوى الدولي.

وأضاف الباحث أن إدراج الوادي ضمن اتفاقية رامسار يعزز من إشعاعه العلمي، ويفتح المجال أمام إدماجه في برامج دولية تهتم بتتبع الأنظمة البيئية الهشة، خصوصًا في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. كما شدد على ضرورة تعزيز البحث العلمي التطبيقي، من خلال تتبع حركة الطيور بشكل دقيق، وإنجاز خرائط تفصيلية لموائلها، إضافة إلى دراسة تأثير التغيرات المناخية على استقرار هذه الأنظمة البيئية.

ودعا في هذا الإطار إلى إحداث مسار بيئي منظم على طول الوادي، يتيح للزوار والباحثين فرصة اكتشاف غناه الطبيعي، إلى جانب إنشاء مركز للتربية البيئية موجه للتلاميذ والطلبة والسكان المحليين، بهدف تعزيز الوعي البيئي وترسيخ ثقافة الحفاظ على الطبيعة.

ومن جانبهم، شدد فاعلون جمعويون مهتمون بالبيئة على ضرورة تعزيز آليات الحماية والمراقبة، واعتماد برامج تتبع منتظمة لأعداد الطيور، إلى جانب تكثيف حملات التحسيس لفائدة السكان المحليين، خاصة في ما يتعلق بأهمية الحفاظ على هذا النظام البيئي الفريد من التدهور أو الاستنزاف.

وفي المحصلة، يظل وادي الساقية الحمراء نموذجًا حيًا لتداخل الماء والصحراء، ومثالًا على قدرة الطبيعة على خلق فضاءات للحياة في أصعب الظروف. غير أن استمرارية هذا الإرث البيئي الفريد تظل رهينة تضافر جهود مختلف المتدخلين، من مؤسسات رسمية وباحثين ومجتمع مدني، من أجل ضمان حمايته وصون توازنه البيئي للأجيال القادمة.

استراحة مسافر

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

اتحاد جدة يجهّز البدائل لبدء رحلة الإنقاذ من إرث البرتغالي كونسيساو

سباليتي وتشافي على طاولة العميد لمواصلة ثورة التصحيح

مصير مجهول

بدأ نادي اتحاد جدة ثورة التصحيح قبل بداية الموسم الجديد 2026 - 2027، في ظل النتائج السلبية التي يعاني منها الفريق خلال الموسم الحالي. وينوي العملاق السعودي إنهاء التعاقد مع المدرب البرتغالي سيرجيو كونسيساو والإسباني رامون بلانيس، المدير الرياضي للنادي.

جدة (السعودية) - باتت أيام المدرب البرتغالي سيرجيو كونسيساو على مقاعد بدلاء الاتحاد أقرب إلى العدّ التنازلي، بعدما تحوّل موسم كان يُفترض أن يكون عنوانه العودة والهيمنة، إلى سلسلة من الإخفاقات والخيبات.

خسارة البطولات واحدة تلو الأخرى لم تكن الضربة الوحيدة، بل جاءت مصحوبة بتراجع واضح في الأداء، وفجوة متسعة بين المدرب ولاعبيه، جعلت غرفة الملابس ساحة صامتة للتوتر أكثر منها بيئة للانتصار. ومع بقاء بصيص أمل ضعيف في دوري أبطال آسيا للنخبة، يبدو المشهد أكثر قتامة، خاصة في ظل قوة المنافسة التي يتقدمها الهلال والأهلي، ما يجعل الحلم القاري بمثابة "معجزة" أكثر من كونه هدفا واقعيا.

وبين حسابات الأرقام وضغوط الجماهير، تقترب نهاية قصة لم تكتمل، حيث يلوح في الأفق قرار يبدو حتميا، وهو رحيل مدرب لم يجد طريقه إلى قلوب اللاعبين ولا إلى منصات التتويج. هذا الواقع يفتح الباب واسعًا أمام سؤال منطقي: من هو المدرب القادر على إنقاذ الاتحاد؟ وطرح اسم جديد على طاولة النقاش، كبديل محتمل يخضع للقراءة الفنية والتحليل الرقمي، بعيدا عن العاطفة، وقريبا من منطق المشروع والطموح.

مهندس التوازن

لوتشانو سباليتي لا يقدّم مجرد طريقة لعب، بل يبني "نظاما" كاملا داخل الفريق، يعتمد على 4 – 3 – 3 أو 4 – 2 – 3 – 1، لكن الفكرة الأهم هي التحكم في المسافات بين الخطوط، وصناعة تفوق عددي في وسط الملعب، هذا النوع من المدربين قد يحل واحدة من أكبر مشاكل الاتحاد مؤخرا: غياب الهوية والانضباط التكتيكي.

مع وجود لاعبين أصحاب جودة فردية عالية، سباليتي قادر على "تطويع النجوم" داخل منظومة جماعية، بحيث لا يتحول الفريق إلى مجموعة أفراد، كما أنه بارع في تحسين الأداء الدفاعي دون التضحية بالقوة الهجومية، وهي نقطة حاسمة لفريق عانى من فقدان التوازن. لكن التحدي الكبير معه هو شخصيته الصارمة، سباليتي لا يساوم في التفاصيل الصغيرة، وأي لاعب لا يلتزم تكتيكيًا قد يجد نفسه خارج الحسابات، مهما كان اسمه. وفي بيئة مثل الاتحاد، التي تضم نجومًا كبارًا، قد يحدث احتكاك إذا لم تدعمه الإدارة بشكل كامل.

كما يمثل روبن أموريم فكرا مختلفا تمامًا، حيث يعتمد غالبًا على 3 – 4 – 3 أو 3 – 4 – 2 – 1، مع ضغط عالٍ وتنظيم ديناميكي في التحولات، وما يميزه هو قدرته على خلق فريق "مرن"، يتحول بسرعة بين الدفاع والهجوم، ويضغط بشكل جماعي وليس فرديا. لو تولى تدريب الاتحاد، سيحاول إعادة تشكيل الفريق بالكامل من حيث الأدوار، وليس فقط المراكز، فالأظهرة ستتحول إلى أجنحة، ولاعبو الوسط سيُطلب منهم القيام بأدوار مركبة بين الدفاع والبناء، ما قد يصنع فريقًا أكثر حيوية وسرعة.

> مع وجود لاعبين أصحاب جودة فردية عالية، لوتشانو سباليتي قادر على «تطويع النجوم» داخل منظومة جماعية

الميزة الأهم هنا أن أموريم لا يُعد مجرد مدرب نتائج، بل "مدرب مشروع"، فصغر سنه يمنحه مرونة أكبر في التطوير، كما أنه يميل إلى بناء فريق على المدى الطويل، وليس البحث عن حلول سريعة، هذا النوع من المدربين يناسب الأندية التي ترغب في تأسيس هوية مستمرة لسنوات، وليس مجرد موسم ناجح. لكن التحدي الحقيقي يكمن في أن أفكار أموريم لا تُطبّق بشكل فوري، إذ يحتاج أسلوبه إلى وقت كافٍ حتى يستوعبه اللاعبون ويتأقلموا معه، خاصة أنه يعتمد على تغيير واضح في أدوارهم داخل الملعب. روبيرتو دي زيربي ينتمي إلى مدرسة الاستحواذ المغامر، وفريقه يبني اللعب من الحارس، ويجذب الخصم للضغط ثم يكسره بتمريرات قصيرة وسريعة، هذه الفلسفة، لو نُفذت بشكل صحيح، تجعل الفريق قادرًا على السيطرة وخلق فرص بشكل مستمر.

في الاتحاد، هذا الأسلوب قد يحرر اللاعبين المهاريين ويجعل الفريق أكثر إبداعًا في الثلث الأخير، خاصة مع وجود عناصر هجومية قوية، كما أنه مدرب يطوّر اللاعبين تكتيكيًا بشكل واضح، ويجعلهم يفهمون اللعبة بشكل أعمق. لكن المشكلة أن هذا الأسلوب "لا يقبل الأخطاء"، لأن أي فقدان للكرة في مناطق البناء قد يتحول مباشرة إلى هدف في مرمى الفريق، وفي دوري مثل الدوري السعودي، يعتمد كثيرًا على السرعة والتحولات، قد يدفع الفريق ثمنًا باهظا إذا لم يكن التنفيذ مثاليا. دي زيربي مشروع ممتع، لكنه عالي المخاطر.

سيطرة واستحواذ

لا يفصل تشافي هيرنانديز بين الأداء والهوية، فكرته الأساسية هي السيطرة على المباراة من خلال الاستحواذ، وتقليل فقدان الكرة، وفرض الإيقاع على الخصم، فهو يعتمد على تمركز دقيق، خاصة في وسط الملعب، مع أدوار واضحة لكل لاعب في عملية البناء.

في الاتحاد، قد يكون تشافي الحل لإعادة "الشخصية الكبيرة" للفريق، حيث يجيد التعامل مع الضغوط الإعلامية والجماهيرية، ويعرف كيف يدير غرفة ملابس مليئة بالنجوم. كما أن أسلوبه قد يساعد الفريق على تقليل الفوضى التي ظهرت في بعض المباريات. لكن التحدي الأساسي هو أن فلسفته تحتاج نوعية معينة من اللاعبين الذين لديهم القدرة على اللعب تحت الضغط ويمتلكون ذكاءً تكتيكيًا عاليًا، فإذا لم تتوفر هذه العناصر، قد يتحول الاستحواذ إلى سلبية بلا فاعلية، ونجاح تشافي هنا مرتبط بسوق انتقالات قوي يدعم فكره.

وفي سياق متصل يراقب اتحاد جدة إمكانية التعاقد مع كاسيميرو لاعب مانشستر يونايتد، في صفقة انتقال حر خلال الموسم المقبل. وينتهي عقد كاسيميرو مع النادي الإنجليزي بنهاية يونيو المقبل، بعدما أعلن في وقت سابق رحيله عقب نهاية تعاقده.

وكشفت وسائل الإعلام اهتمام اتحاد جدة بضم كاسيميرو ضمن تدعيمات الموسم المقبل. وكشف تقرير عن اشتراط اتحاد جدة حسم موقف فابينيو أولا، قبل اتخاذ القرار النهائي بشأن التعاقد مع لاعب الوسط البرازيلي. ويبلغ كاسيميرو 34 عاما، لكنه يرى أنه لا يزال قادرا على الاستمرار في المنافسة على أعلى مستوى داخل أوروبا، رغم اهتمام النادي السعودي بضمه.

ويحتل اتحاد جدة المركز السادس في جدول الدوري السعودي، الذي يتصدره النصر بقيادة كريستيانو رونالدو. وارتبط اسم اتحاد جدة بضم محمد صلاح الذي أعلن رحيله عن ليفربول بنهاية الموسم الجاري دون تحديد وجهته.

بدأ نادي اتحاد جدة ثورة التصحيح، قبل بداية الموسم الجديد 2026 – 2027، في ظل النتائج السلبية التي يعاني منها الفريق خلال الموسم الحالي. وودع الاتحاد بطولة كأس الملك من الدور نصف النهائي، عقب الخسارة من الخلود بركلات الترجيح الأربعاء الماضي، فيما يحتل المركز السادس في دوري روشن، بفارق 25 نقطة خلف النصر صاحب الصدارة. وقالت الصحف السعودية إن اتحاد جدة ينوي إنهاء التعاقد مع الإسباني رامون بلانيس، المدير الرياضي للنادي.

وتأتي تلك الأنباء بالتزامن مع ما نقلته صحيفة "اليوم" السعودية، حول شكوى البرتغالي سيرجيو كونسيساو، المدير الفني لفريق اتحاد جدة، من سوء إدارة ملف الصفقات خلال فترة الانتقالات الشتوية الحالية. ولم يتعاقد الاتحاد في الميركاتو الشتوي الماضي إلا مع المهاجمين؛ المغربي يوسف النصيري من فنربخشه والنيجيري جورج إلينيخينا من موناكو، بعد رحيل الفرنسيين كريم بنزيما ونجولو كانتي إلى الهلال وفنربخشه على الترتيب.

المغربي أيوب بوعدي ضمن مخطط ريال مدريد

مدريد - يخطط ريال مدريد لتعزيز صفوفه بصفقة مغربية مميزة خلال الميركاتو الصيفي المقبل. ويدور الحديث حول المغربي أيوب بوعدي، البالغ من العمر 18 عاما، والذي يتألق بشكل ملحوظ مع ناديه ليل الفرنسي. وذكرت شبكة "ديفينسا سنترال" أن كشافي ريال مدريد سافروا 3 مرات إلى فرنسا، لمتابعة بوعدي عن قرب، وتأمين ضمه إلى الميرنغي.

ويتولى مسؤول الكشافة داخل ريال مدريد، جوني كلافات، مهمة إنجاز صفقة بوعدي، الذي يقدر موقع ترانسفير ماركت، قيمته السوقية بنحو 40 مليون يورو. وأصبح بوعدي قائدا لفريق ليل في سن الـ18 عاما، ويرى ريال مدريد أن اللاعب المغربي أفضل من بيدري ورودري، عندما بدأ كل منهما في الظهور مع فرق الشباب في لاس بالماس وأتلتيكو مدريد على التوالي.

وأظهر بيدري حاليا أنه بوصلة وسط ملعب برشلونة، بينما ارتبط رودري، نجم مانشستر سيتي، بالانتقال إلى ريال مدريد في السنوات الأخيرة، لكن ذلك لم يتحقق بعد. إلا أن الطريق لضم بوعدي لن يكون سهلا، خاصة بعد أن جدد عقده مؤخرًا مع ليل حتى صيف 2029، مع تحسن كبير في شروطه المالية. ونوهت "ديفينسا سنترال" بأن ريال مدريد ليس وحده في السباق للحصول على بوعدي، الذي يتمتع أيضًا باهتمام مانشستر يونايتد ويوفنتوس وليفربول وباريس سان جيرمان وأرسنال.

عاد الجدل بقوة ليحيط بالمستقبل الدولي للنجم الصاعد أيوب بوعدي، اللاعب ذي الأصول المغربية، في ظل الصراع الرياضي القائم بين الاتحادين الفرنسي والمغربي للظفر بخدماته. وتتجه الأنظار نحو القرار النهائي الذي سيتخذه اللاعب الشاب، والذي سيحدد وجهته الدولية القادمة بناءً على قناعاته الشخصية ومشروعه الرياضي.

وفي هذا السياق، خرج جيرالد باتيكل، مدرب المنتخب الفرنسي لأقل من 21 سنة، بتصريحات شفافة خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده لتوضيح الصورة. وأكد المدرب أن الطاقم الفني الفرنسي على تواصل دائم ومباشر مع اللاعب، مشددا على أن هذه المفاوضات تتم في إطار من الاحترام التام وبدون أي تلاعب أو ضغوطات للتأثير على مساره.

ولم يخفِ الإطار الفني الفرنسي إعجابه الكبير بالإمكانات الفنية والبدنية التي يتمتع بها اللاعب الشاب، والتي جعلته مطلباً ملحاً في تشكيلة "الديوك". وأعرب باتيكل عن أمله الصادق في أن يرى بوعدي مرتدياً القميص الأزرق، ليساهم بموهبته في قيادة الكرة الفرنسية نحو حصد المزيد من الألقاب القارية والعالمية في المستقبل.

ورغم الرغبة الفرنسية الجامحة في استقطاب اللاعب، أقر المدرب باتيكل بأن القرار النهائي سيبقى شخصياً ونابعاً من إرادة بوعدي بالدرجة الأولى. وأوضح أنه يحاول تقديم أقوى الحجج الرياضية لإقناعه بالمشروع الفرنسي، لكنه أبدى تفهمه الكامل واحترامه لأي قرار يتخذه اللاعب حتى وإن اختار تمثيل قميص منتخب آخر بناءً على نداء قلبه.

وسلط المدرب الضوء على العقلية الاحترافية والنضج الكبير اللذين يتميز بهما النجم الواعد رغم صغر سنه، واصفاً إياه بالشاب المتزن الذي يفضل التفكير بعمق قبل اتخاذ الخطوات الحاسمة. وأشار إلى أن بوعدي يأخذ وقته الكافي لمناقشة هذا الملف الحساس مع أفراد عائلته والمقربين منه، ليختار اللحظة الأنسب والمناسبة لإعلان قراره.

> بوعدي أصبح قائدا لفريق ليل في سن الـ18 عاما، ويرى ريال مدريد أن اللاعب المغربي أفضل من بيدري ورودري

واختتم مدرب المنتخب الفرنسي للشباب حديثه بالتأكيد على أن الانتماء الحقيقي ينبع من الداخل، معتبراً أن اختيار اللاعب يجب أن يكون صادقاً لضمان نجاحه. وشدد على أن اللاعب سيكون أكثر قوة وعطاءً وتأثيراً فوق المستطيل الأخضر إذا كان مقتنعاً تماماً ويشعر بالانتماء الحقيقي للقميص الذي سيدافع عن ألوانه. وأمام هذه التصريحات الدبلوماسية والشفافة، يبقى الباب مفتوحاً على مصراعيه لكافة الاحتمالات بخصوص المستقبل الدولي لهذه الموهبة الكروية الفذة. وتترقب الجماهير المغربية والفرنسية بشغف كبير اللحظة التي سيفصح فيها بوعدي عن قراره النهائي، والذي سينهي بلا شك فصلاً من فصول التنافس المثير لضم أبرز المواهب الكروية.

تركيز ديشامب منصبّ على المونديال وأنشيلوتي يتغنى بنجوم السامبا

باريس - أكد ديدييه ديشامب، المدير الفني لمنتخب فرنسا لكرة القدم، أن تركيزه منصب بالكامل على بطولة كأس العالم التي ستقام هذا الصيف في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا. ولدى سؤال ديشان عن المدرب المحتمل للمنتخب الملقب بـ"الديوك" خلفا له، كانت إجابته حاسمة.

وفي مؤتمر صحفي عقب فوز منتخب فرنسا 2 – 0 على نظيره البرازيلي وديا في الولايات المتحدة قال ديشامب "لن أهدر وقتي في هذا الأمر. ما سيحدث بعد ذلك ليس من شأني". وتأتي هذه التصريحات بعد أن كشف فيليب ديالو، رئيس الاتحاد الفرنسي لكرة القدم، أنه يعرف بالفعل اسم المدرب القادم لمنتخب بلاده، دون أن يذكر زين الدين زيدان صراحة.

وتشير تقارير متعددة إلى أن زيدان سيقود الفريق نحو بطولة أمم أوروبا المقبلة (يورو 2028) وكأس العالم 2030، وكان ديالو ألمح سابقا إلى أنه لا يمكن لأي شخص أن يتولى تدريب المنتخب، بل يجب أن يحظى بدعم الشعب الفرنسي بأكمله، وهو ما ضمنه زيدان بوضوح.

وأفادت تقارير إخبارية أيضا باقتراب المفاوضات من نهايتها، وبأن كل شيء جاهز لتولي بطل كأس العالم عام 1998 قيادة المنتخب الفرنسي، ومع ذلك لم يعلن عن أي شيء رسميا حتى الآن، حرصا على عدم التأثير على الفريق الذي يسعى للفوز بلقبه الثالث في المونديال، بعدما نال الوصافة في النسخة الماضية بقطر عام 2022.

ولهذا السبب يتجاهل ديشامب تلك التكهنات ويركز على الحاضر، علما بأن منتخب فرنسا توج تحت قيادته بكأس العالم عام 2018 في روسيا وصعد إلى نهائي النسخة الماضية للمسابقة قبل 4 أعوام. إضافة إلى ذلك تولى ديشان المهمة في وقت عصيب، وبصفته قائد الفريق الفائز بكأس العالم 1998، حظي دائما بدعم الجماهير.

وتعتبر فترة تدريب ديشان من أبرز الفترات في تاريخ كرة القدم الفرنسية الحديث، ولا تضاهى إلا بفترة إيمي جاكيه، الذي قاد الفريق للفوز بكأس العالم على أرضه قبل 28 عاما. كما يعد ديشامب المدرب الأكثر مشاركة في تاريخ المنتخب الفرنسي، برصيد 175 مباراة، ما يعكس عظمة إرثه.

بدوره تغنى الإيطالي كارلو أنشيلوتي، المدير الفني لمنتخب البرازيل، بأداء لاعبيه أمام منتخب فرنسا، لكنه أعرب عن أسفه لقلة تركيزهم في الهجمات التي أسفرت عن هدفي الفريق المنافس. وقال أنشيلوتي إن هناك العديد من الجوانب الإيجابية في المباراة، لكنه أعرب عن أسفه للنتيجة، غير أنه أكد أن النتيجة بحد ذاتها لم تكن العامل الأهم في المباراة، مشيرا إلى أن منتخب البرازيل سيشارك في بطولة كأس العالم المقبلة وهو في وضع يسمح له بالمنافسة مع عمالقة كرة القدم العالمية.

وقال أنشيلوتي عقب اللقاء "عندما تخسر مباراة، لا يجب أن تكون سعيدا، ونحن لسنا سعداء. النتيجة ليست الأهم، لكنها تظهر نقاط قوتنا وضعفنا. أعتقد أن الفريق نافس حتى نهاية المباراة، وحظي ببعض الفرص الجيدة، لكننا افتقرنا قليلا إلى بناء الهجمات في نصف ملعبنا، كما افتقرنا إلى اليقظة الكافية لمنع الهجمات المرتدة التي سجلوا منها هدفيهم".

وأضاف "في سياق المباراة ككل أنا راض عن الأداء، لأن الفريق نافس وكافح، وسجل هدفا من ركلة ثابتة، وهذا أمر مهم. راض جزئيا، لكن لا يجب علينا أن نكون سعداء بالنتيجة". وشدد أنشيلوتي على أن إمكانيات المنتخب البرازيلي سوف تتضح في بطولة كأس العالم المقبلة هذا الصيف في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، مضيفا أن هذا سيتيح له فرصة متكافئة مع المنتخبات الكبرى الأخرى، المرشحة للفوز باللقب.

وقال مدرب منتخب البرازيل "أظهرت المباراة لي جليا أننا قادرون على منافسة أفضل فرق العالم، بلا أدنى شك. لقد لعبنا ضد فريق قوي ومتميز، ونافسنا حتى اللحظة الأخيرة سعيا للفوز. أنا متيقن من أننا سنكافح بكل ما أوتينا من قوة للفوز بكأس العالم". وأوضح أنشيلوتي أن المنتخب البرازيلي كان يعاني من نقص في اللاعبين، حيث شارك العديد منهم لأول مرة، وبعضهم يفتقر إلى الخبرة، وهو ما أثر على مجريات المباراة، رغم إشادته بهم.

وتابع المدرب المخضرم "كان الفريق جديدا نسبيا، أشركنا لاعبين غير معتادين على اللعب معا. قدم بريمر وليو أداء دفاعيا رائعا. أما في الاستحواذ على الكرة، فيجب علينا التنسيق فيما بيننا، وهذا ما يجب أن نعمل عليه منذ البداية، ولكن ينبغي علينا أيضا أن نأخذ في الاعتبار الفرص التي أتيحت لنا في الهجمات المرتدة، خاصة في الشوط الثاني، عندما دخل اللاعبون البدلاء وبذلوا جهدا كبيرا في المباراة".

لقاء العمالقة

العرب
السبت 2026/03/28
السنة 48 العدد 13770

سحر المانغا اليابانية يغزو العالم

من ملاجئ الحرب في أوكرانيا إلى شوارع جاكرتا وأحياء أفريقيا، تشق المانغا اليابانية طريقها إلى القلوب، متجاوزة اللغة والدين والثقافة، لتصبح قوة ناعمة تلهم الإبداع وتمنح الأمل وتعيد رسم خيال جيل كامل حول العالم في زمن تتقاطع فيه القصص مع الواقع الإنساني.

المانغا قوة ناعمة

طوكيو - لم تعد المانغا اليابانية مجرد شكل من أشكال الترفيه المحلي، بل تحولت خلال العقود الأخيرة إلى ظاهرة ثقافية عالمية تتجاوز الحدود الجغرافية والاختلافات الاجتماعية. هذا الفن السردي المصوّر، الذي نشأ في اليابان، استطاع أن يرسّخ مكانته في قلوب ملايين القرّاء حول العالم، بفضل طابعه الفريد وقدرته على ملامسة مشاعر إنسانية عميقة.

تتميّز المانغا بأسلوبها المختلف عن القصص المصورة الغربية، سواء الأميركية أو الفرنسية، من حيث البناء السردي وتطوّر الشخصيات، وتناولها لموضوعات متنوعة تمتد من المغامرة والخيال إلى القضايا الاجتماعية والنفسية المعقدة. هذا التنوّع جعلها قادرة على مخاطبة شرائح واسعة من الجمهور بمختلف الأعمار والخلفيات الثقافية.

وقد ساهمت وسائل الإعلام اليابانية في تسليط الضوء على هذه الظاهرة من خلال أعمال بحثية وإنتاجات إعلامية، من بينها كتاب "لماذا العالم مفتون بالثقافة اليابانية؟"، الذي يستعرض كيف أصبحت المانغا والأنيمي جزءًا من الحياة اليومية في بلدان بعيدة عن اليابان ثقافيًا وجغرافيًا.

في أوكرانيا، وعلى الرغم من الظروف القاسية التي فرضتها الحرب، برزت المانغا والأنيمي كوسيلة دعم نفسي للأطفال. فقد أُقيمت حفلات موسيقية لأغاني الأنيمي في كييف، بينما لجأ الأطفال إلى مشاهدة أعمالهم المفضلة على أجهزتهم المحمولة داخل الملاجئ. هذه الظاهرة تعكس قدرة المانغا والأنيمي على توفير ملاذ نفسي، يخفف من وطأة الواقع، ويمنح الأمل في أوقات الأزمات.

أما في إندونيسيا، وهي أكبر دولة ذات أغلبية مسلمة في العالم، فقد حققت المانغا انتشارًا واسعًا رغم اختلاف بعض موضوعاتها مع القيم الاجتماعية السائدة. ومن أبرز الأنواع التي لاقت رواجًا نوع "غرام الأولاد"، الذي يتناول العلاقات الرومانسية بين الرجال. ورغم حساسية هذا الموضوع، لم يقتصر تأثير المانغا على الاستهلاك، بل امتد إلى الإنتاج، حيث بدأ فنانون محليون في ابتكار أعمال مستوحاة من هذا النمط، ما يدل على أن المانغا أصبحت مصدر إلهام ثقافي وإبداعي.

وفي أفريقيا، وتحديدًا في زيمبابوي، بدأت شعبية المانغا والأنيمي في الارتفاع منذ مطلع الألفية، عندما أطلقت هيئة البث الوطنية قناة فرعية أتاحت عرض الأنيمي بأسعار معقولة. ومن بين الأعمال التي تركت أثرًا عميقًا في الأطفال مسلسل "رورني كنشين" ، الذي جذب الجمهور بمشاهد القتال بالسيوف وقصته التي تدور في فترة تاريخية مضطربة من اليابان. وقد أسهم هذا العمل في تشكيل خيال جيل كامل، وأثر في توجهاته الفنية.

ولا يمكن الحديث عن انتشار المانغا دون الإشارة إلى النجاح العالمي الساحق لسلسلة "وان بيس" ، التي تُعد واحدة من أكثر الأعمال مبيعًا في التاريخ، حيث تجاوز توزيعها 500 مليون نسخة حول العالم، وتُرجمت إلى أكثر من 60 لغة. تحكي القصة مغامرات شاب يسعى لتحقيق حلمه بأن يصبح ملك القراصنة، وهي قصة تجمع بين الإثارة والقيم الإنسانية مثل الصداقة والتضحية. وقد ألهمت هذه السلسلة العديد من الشباب، من بينهم فنانون في زيمبابوي، الذين تأثروا بروح الإصرار لدى بطلها.

من جهة أخرى يرى العديد من الباحثين أن سر جاذبية المانغا يكمن في واقعية شخصياتها وعمقها النفسي. وتؤكد سوزان نابيي ، وهي باحثة أميركية متخصصة في الثقافة اليابانية، أن شخصيات المانغا تبدو أكثر قربًا من الواقع مقارنة بنظيراتها في أفلام هوليوود، حيث تمر بتطورات نفسية معقدة وتواجه تحديات إنسانية حقيقية.

كما أن صورة اليابان نفسها تغيرت في نظر العالم. فبعد أن كانت تُرى كدولة غريبة ذات ثقافة بعيدة، أصبحت اليوم أكثر ألفة وقربًا، بفضل انتشار منتجاتها الثقافية. وقد لعبت المانغا دورًا محوريًا في هذا التحول، حيث قدمت صورة متعددة الأبعاد للمجتمع الياباني، تجمع بين التقليد والحداثة.

دار الكتب المصرية تحتفل بتاريخها العريق

القاهرة - تحتفل دار الكتب والوثائق القومية في مصر سنويًا خلال شهر مارس بذكرى تأسيسها الأول، الذي يعود إلى عهد الخديوي إسماعيل عام 1870، حيث واصلت عبر العقود دورها كواحدة من أبرز المؤسسات الثقافية التي تسهم في نشر الوعي وحفظ التراث في مصر والعالم العربي.

وتعد الدار من أكبر المكتبات الوطنية في الشرق الأوسط، لما تضمه من ثروة هائلة من الكتب، إلى جانب مجموعات نادرة من الوثائق والمخطوطات التي تعود إلى عصور تاريخية متعددة. وفي عام 2014 تعرضت الدار لأضرار كبيرة نتيجة حادث إرهابي، قبل أن يتكفل سلطان بن محمد القاسمي بترميمها وتطويرها على نفقته الخاصة، إضافة إلى دعمها بمجموعات جديدة من الكتب والوثائق. وقد أُعيد افتتاحها عام 2019 بحضوره، حيث أكد في كلمته أهمية الدار ودورها التنويري في صون التراث المصري والعربي.

وتضم الدار اليوم أكثر من 75 ألف مخطوط تُعد من أندر المجموعات عالميًا، إلى جانب ما يزيد على 100 مليون وثيقة، ونحو 5 ملايين كتاب، ما يجعلها من أغنى المؤسسات الثقافية من حيث المحتوى المعرفي.

وجاء تأسيس الدار بهدف جمع التراث المصري من الكتب والمخطوطات التي كانت موزعة في المساجد الكبرى والقصور وبيوت العلماء، وذلك بناءً على اقتراح علي باشا مبارك، أحد رواد النهضة الحديثة، والذي كان يشغل منصب ناظر الأوقاف والمعارف آنذاك. وقد أدرك علي مبارك خطورة تشتت هذه الكنوز المعرفية، وخشي ضياعها، فطرح فكرة إنشاء مكتبة مركزية تجمعها وتحفظها. واستلهم هذه الفكرة من تجربته في فرنسا، حيث تأثر بالمكتبة الوطنية في باريس، التي كان يرتادها خلال فترة دراسته هناك.

وبعد عرض الفكرة على الخديوي إسماعيل لاقت قبولًا، ليصدر أمرًا بتأسيس "الكتبخانة الخديوية المصرية" في سراي الأمير مصطفى فاضل بمنطقة درب الجماميز، لتكون أول مكتبة وطنية في العالم العربي على النمط الأوروبي.

إنجي كيوان تكشف فلسفتها في الحياة

القاهرة - فتحت إنجي كيوان قلبها للجمهور خلال ظهورها في برنامج "أسرار النجوم" الذي تقدمه إنجي علي، حيث تحدثت بصراحة عن رؤيتها للحياة، ومصادر سعادتها الحقيقية، إلى جانب تجربتها الفنية في مسلسلها الجديد "ونسى اللي كان"، أحد أبرز الأعمال الدرامية في الموسم الحالي.

وأوضحت إنجي خلال حديثها أن السعادة بالنسبة لها لا تقتصر على النجاح المهني أو الشهرة، بل تنبع بشكل أساسي من استقرارها الشخصي، مشيرة إلى أن الأمومة تمثل المصدر الأهم للقوة والدعم النفسي في حياتها.

وأضافت "الأمومة هي أعظم نعمة في حياتي، فهي تمنحني إحساسا عميقا بالمسؤولية والدفء لا يمكن تعويضه، كما أن راحة البال تظل الهدف الأساسي الذي أحرص على الحفاظ عليه رغم ضغوط الحياة اليومية".

وعن تجربتها الفنية، أعربت عن سعادتها بالمشاركة في مسلسل "ونسى اللي كان"، الذي يضم مجموعة من النجوم، من بينهم ياسمين عبد العزيز وكريم فهمي، إلى جانب شيرين رضا، خالد سرحان، منة فضالي، محمود ياسين جونيور، محمد لطفي، محمود حافظ وإيهاب فهمي.

وأكدت أن العمل يمثل تجربة مختلفة تمزج بين الدراما النفسية والتوتر العاطفي، وتطرح تساؤلات إنسانية عميقة.

ويأتي المسلسل من تأليف عمرو محمود ياسين وإخراج محمد الخيبري، حيث يناقش قضايا تتعلق بقدرة الإنسان على تجاوز ماضيه، والتضحيات التي قد يقدمها للحفاظ على نجاحه ومكانته.

ورد الطائف يزهر في ملتقى عالمي

الطائف (السعودية) - تستعد الإدارة العامة للتعليم بمحافظة الطائف في السعودية للمشاركة في فعاليات الملتقى العالمي للورد والنباتات العطرية في نسخته الثانية لعام 2026، والذي سينطلق الأحد 29 مارس، ويستمر أسبوعين، عبر حزمة من البرامج والأنشطة التفاعلية التي يشارك فيها أكثر من ربع مليون طالب وطالبة من مختلف المراحل التعليمية.

وأوضحت الإدارة أن هذه المشاركة تأتي في إطار جهودها لتعزيز ارتباط الطلبة بهويتهم الثقافية والتاريخية، وترسيخ مكانة الورد الطائفي بوصفه أحد أبرز الرموز التراثية والسياحية والاقتصادية في محافظة الطائف، إضافة إلى دوره في تعزيز الوعي البيئي والزراعي لدى النشء.

وبيّنت أن الفعاليات المصاحبة ستشمل تنظيم "مسيرة الورد" بمشاركة طلابية واسعة، إلى جانب تزيين وإضاءة واجهات المدارس والمباني التعليمية، بما يعكس الهوية الجمالية للورد الطائفي ويعزز حضوره في المشهد التعليمي والمجتمعي.

كما سيتم تخصيص ركن تعريفي بالإدارة طوال أيام الملتقى، يسلط الضوء على جهود التعليم في دعم الفعاليات الوطنية والمحلية ذات البعد الثقافي.

وأضافت أن الفرق التطوعية والكشفية ستشارك في عمليات التنظيم والتنسيق، بما يسهم في تنمية مهارات العمل الجماعي والمسؤولية لدى الطلبة، وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة في فعاليات كبرى ذات طابع عالمي.

ويُعد الورد الطائفي من أثمن منتجات العطور الطبيعية في المملكة، لما يتميز به من خصائص عطرية فريدة، إضافة إلى ارتباطه العميق بالإرث الثقافي والسياحي لمحافظة الطائف، حيث يمثل أحد أبرز الرموز الزراعية التي تشتهر بها المنطقة.

طنجة تستضيف اليوم العالمي للتصميم الإيطالي

طنجة (المغرب) - استضافت مدينة طنجة في المغرب، مساء الأربعاء، فعاليات الدورة العاشرة من اليوم العالمي للتصميم الإيطالي، وذلك بهدف تثمين الإبداع وفن العمارة الحديثة الإيطالية وتعزيز الحوار والتبادل بين الفاعلين المؤسساتيين والمهنيين والأكاديميين من ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

وجاءت هذه التظاهرة، التي أُقيمت تحت شعار "إعادة التصميم: تجديد الفضاءات والأشياء والأفكار والعلاقات"، بمبادرة من سفارة إيطاليا في المغرب وبشراكة مع الوكالة الإيطالية للتجارة الخارجية، وبتعاون مع المعهد الثقافي الإيطالي في الرباط.

وشهد الحدث مشاركة المهندس المعماري ومصمم الديكور الإيطالي توماسو زيفر، المتخصص في التصاميم الفندقية الفخمة والراقية، والذي وضع بصمته على مشاريع فنادق ومنتجعات وإقامات فاخرة، من خلال مقاربة تمزج بين التقاليد الإيطالية والحرفية المتميزة والابتكار المعاصر.

صباح العرب

لطيف جاباللّه
صحافي تونسي

أغنية خير من ألف دواء

أعلنت سيلين ديون أنها ستغني في قلب باريس بصوت عال "أنا على قيد الحياة"، وهي صرخة تحدّ في وجه مرض ملعون أصابها. وغنت لنا فيروز كل صباح "يقولو زغير بلدي"، البلد الجريح الذي رسم وشم حزن في قلبها وزاد عليه فقدان نجليها، لكنها ما زالت تغني بدفء وهي تتابع "حمة السكران" أن الحياة تظل ممكنة، وأنها ستظل تداوي السقم بالغناء أسوة بناظم الغزالي، وقال لكل العراقيين من قصيدة قيس بن الملوح "شَفَى اللَّهُ مَرضَى بالعِراقِ فإنَّني عَلَى كُلِّ مَرضَى بِالعِراقِ شَفيق".

وتمنى أن يكون الطبيب المداوي لأن "الغناء سر الوجود" وهو باق حتى وإن رحل المغني.

الأغنية هي الدواء وهي ملاذ الموجوعين، حتى الأوطان تُشفى بأغنية ونحن نصبر على وجع بلداننا بأغنية. وفي أوقات الأزمات تتحول الموسيقى إلى لغة مشتركة تعيد ترميم الروابط الإنسانية، وتمنح الناس القدرة على الصمود، فالأوطان الجريحة، كما الأفراد، تجد في الأغنية متنفسا للتعبير ووسيلة للاستمرار.

وبعد أن نطوف بين العيادات ومخابر التحاليل الطبية نعود وفي قلوبنا أغنية للحياة. نوادي الغناء فيها الدواء.

حين أعايد الطبيب في المرة القادمة بعد أن مللت لقاءه، سأطلب منه أن يغني لي بدل أن يستخدم أجهزته التكنولوجية الحديثة ومعارفه التي زاولها في الجامعات المتخصصة في سبر الجسم البشري وعلله دون أن يتعلم العزف على أوتار أبي نصر محمد الفارابي ولم يطلعوا على مؤلفه "كتاب الموسيقى الكبير" وربما لا يعرفون أن الرازي عزف على العود واستخدمه في شفاء العلل النفسية.

تقول كتب التاريخ إن الطبيب عند العرب لا بد أن يكون مجيدا للعزف على العود، حتى إنه كان يتم قياس كمال الطب من إجادة العزف على آلة موسيقية.

أنا اليوم عاجز عن السفر عبر الزمن إلى قرون لأقابل ابن سينا وأشكو له مرضي فيعزف لي لحنا أُشفى به من أمراض العصر وسقم الحسد والروح بعد أن أكدت الدراسات الحديثة أن الاستماع إلى الموسيقى يُعد أكثر فاعلية من الأدوية الموصوفة بوصفة طبية خاصة في تقليل القلق قبل إجراء الجراحة.

وإذا كانت الأغنية ليست بديلا عن الطب، تظل رفيقا إنسانيا ضروريا في رحلة الشفاء، فهي تداوي ما لا تصل إليه الأدوية، لكنها تمنح الإنسان قوة داخلية لمواجهة الألم. وبين العلم والفن، تظل الموسيقى جسرا خفيا يعبر به الإنسان من المعاناة إلى الأمل.